تلمسان
عاصمة الثقافة الإسلامية 2011

أبي العباس أحمد باب التنبكتي

اللآلي السندسيّة في الفضائل السّنوسيّة

وهو مختصر

كتاب "المواهب القدسية في المناقب السنوسية"

تحقيق
الأستاذ محمود براهم

ENAG
EDITIONS

9
751/1
68

42
179950
83875

اللآلي السندسيّة
في
الفضائل السّنوسيّة

تأليف

أبي العباس أحمد باب التنبكتي

(المتوفي سنة 1036هـ)

وهو مختصر

كتاب "المواهب القدسية في المناقب السَنوسية"

(المتوفي سنة 897هـ)

تحقيق

الأستاذ محمود براهم

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة
بمناسبة
تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011

موفم للنشر

IDEO - Bibliothèque
N° d'inventaire : 94986
Cote : 9-751/16-68

01 02 46/ 11
الإيداع القانوني : 2010 - 1671
ردمك : 978-9961-62-946-8
© موفم للنشر - الجزائر 2011

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

العلامة محمد بن يوسف السنوسي شخصية جزائرية فذّة حازت شرف النسب وعميق العلم وثبوت التقوى والصلاح وعلو الهمّة والخلق الكريمة.[1]

أما شرفه فرفيع ورد في أكثر من موضع وتطرقت إليه الكثير من التواليف.[2]

---

1. يقول الشفشاوني عن السنوسي محمد بن يوسف: الشيخ الولي أبو عبد الله محمد بن يوسف السَنوسي التلمساني رضي الله عنه كان من مشايخ المائة التاسعة وتوفي على رأسها فكان ممن جدد لهذه الأمة أمر دينها على رأس تلك المائة كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ وكان من أكابر الأولياء وأعلام العلماء .. وعقائده الخمس من أفضل ما ألف في الإسلام وهي المقدمة العقيدة الصغرى وصغرى الصغرى والوسطى والكبرى وشرح قصيدة الجزائري وشرح قصيدة الحوضي وهو من تلاميذه وكان إذا ذكر علم الكلام يقول عنه الشيخ أبو عمران موسى بن عقدة ما رأيت من غزير لهذا العلم مثل الرجل يعني به السنوسي.. إلى أن يقول وبالجملة فعلماء تلمسان يعظمونه بالتحقيق والولاية والزهد في الدنيا ويفضله أهل المغرب من جهة التحقيق والانقطاع إلى الله. أنظر الشفشاوني، محمد بن عسكر الحسنى، دوحة الناشر لمحاسن من كان في المغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق د. محمد حجي ومراجعة عبد المجيد خيالي منشورات مركز التراث الثقافي الدار البيضاء 2003 ط 3 ص 110 - 111.

2. قال الإمام النسابة العشماوي في «كتاب النسب» هو محمد بن يوسف بن علي بن عيسى بن محمد الكرماني بن الحسن بن عيس بن موسى بن عمر بن عمران بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن مسعود بن حمزة بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء والإمام علي كرّم الله وجهه. أنظر: أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد العشماوي المكي، «كتاب النسب». منه مخطوط بالخزانة العامّة بالرباط رقمه 53269، وانظر أيضا ترجمة «كتاب النسب» إلى العربية من قبل الأب جياكوبيتي :

GIACOBETTI, le Révérend P. Kitab En-Nasab. Généalogie des Chorfa. Adolphe- et Jourdan. Alger 1906, p75.

وأمّا علمه فشامل متوسع لم يترك فرعا من فروع المعارف إلّا واتخذ له فيه قدما راسخا. فقد أُثر عنه «أن ديدنه ودأبه - رحمه الله - أنه ما التقى بأحد اختص بفن له فيه باع أوفر منه إلّا وقرأ عليه وأخذ عنه ذلك الفن».[1] وفضلا عن تضلعه في العلوم الشرعية، من فقه وحديث وأصول وتفسير وما ألّف فيها من مصنفات وشروح مستوفية، اضطلع بما أشكل منها على أقرانه في زمانه ومنح أجوبة شافية كافية لمعضلاتها.

وفي زخم تبحره، لم يمنعه يقين فهمه لأمور الشريعة والحقيقة من الخوض في مجالات عُدت بالنسبة لأمثاله من باب المباحث المستوجب تلافيها وأعني بذلك علم الكلام وبالأخص المنطق. ولعل السنوسي كان في قرارة نفسه يدرك أن الحقيقة الإلهية هي مصدر العقل وهو صنيعها ومنّتها كيف تتنافى روحه ومقاصد الحقّ وهو في هذا المجال يحذو حذو العلامة ابن عرفة الورغمي الذي شاطره رأيه واعتقاده بفضل علم المنطق وأنه يستأهل البحث والدراسة.[2]

وفي مجال علوم التربية والتدريس يكاد السنوسي يكون رائدا من رواد البيداغوجيا الحديثة بما له من آراء جليلة تتعلق مثلا بالمعايير المفترض توفرها في المعلم وأقواله مثلا بضرورة إلمام هذا الأخير ببعض شروط التدريس في اللغة ومنها: أن المعلم الذي لا يعرف الإظهار والإهمال

ولعلّ أكثرها حداثة ما كتبه الشيخ حشلاف عن شرف السنوسي في كتاب الأصول في أبناء الرسول.

1. الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن عي الكتاني، دار الثقافة الدار البيضاء، 2004 مج 2، ص 78.

2. لابن عرفة في هذا المحال كتاب هام سمّاه «المختصر في المنطق».

والإعجام والتّدغيم والترقيق وغير ذلك، لا يجوز إقراؤه وإن لم يكن متحكما في مخارج الحروف فإن جميع ما يأخذه سحت.[1]

وفي مسألة التلقي وكيفيات بلوغه مستوى الأمثلة، يفيد السنوسي بقواعد على غاية من الأهمية في هذا المجال بحيث يؤكد على ضرورة أهمية الدرس وإمكانية استيعابه عندما يكون المتلقي في حالة نشاط وعلى ضرورة توقف المدرس عن تدريس تلاميذه عند ما لا يرى منه سمعا وإقبالا وهذه من أهم القواعد التعليمية الحديثة.[2]

وحتى في الطب حاول السنوسي تبيان الأسرار الطبية لبعض الأحاديث النبوية وتكلم عن أمراض مردّها غلبة المعدة ووصف لعلل مختلفة وما يشفي منها أو يخفف من بلائها.[3]

ورغم تآليف السنوسي الكثيرة التي مازال الكثير منها مخطوطات متناثرة، ما زالت المكتبة العربية والإسلامية تفتقر لترجمة مستوفية لهذه الشخصية الجزائرية العلمية الفريدة والمحورية سيما بالنسبة لمجالات العلم والفكر العربي والإسلامي عموما.

والحال أن أول من ترجم للعلامة السنوسي هو تلميذه العلامة محمد بن عمر بن إبراهيم الملاّلي التلمساني الذي كان حيّا سنة 920 هـ وذلك في كتاب سماه: «المواهب القدّوسية في المناقب السنوسية» فجاء العلامة أحمد باب التنبكتي ورأى أن اختصاره ضروريّ وأزال عنه الكثير مما اعتبره

1. عيسى ابن علي. كتاب النوازل. تحقيق ونشر المجلس العلمي فاس وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية 1986، ج 2، ص 267.

2. سترد أقواله في هذا المجال لاحقا في هذا الكتاب.

3. جاء ذلك في كتابه «تفسير ما تضمنته كلمات خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطبية» مخطوط منه أربع نسخ في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم: 474 ك.

«زوائد» خارجة عن موضوعه واختصر هذه الترجمة وأعاد صياغتها في الكتاب الذي هو الآن بين يدي القارئ والذي سماه «اللآلي السندسية في الفضائل السَّنوسية».

واستزادة في الفائدة، استهللنا هذا الكتاب بفصلين : الأول يشتمل على تعريف مقتضب بالعلامة محمد بن يوسف السّنوسي، والثاني يتعلق بالمؤلف العلامة التنبكتي.

ويشتمل هذا الكتاب الذي حققناه انطلاقا من ثلاثة مخطوطات مختلفة أحجامها واحدٌ مضمونها، عدا تغير أسماء ناسخيها، على مقدمة وسبعة أبواب. يتناول **الباب الأول** «ذكر شيوخ السّنوسي»، و**الثاني** «كراماته ومكاشفاته» و**الثالث** «علمه وزهده ووعظه وورعه ورفع همته وحلمه وصبره وسداد طريقته وشمائله» والرابع «عدد مصنفاته» والخامس «ذكر أوراد حض عليها أصحابه وأدعية حسنة كتبها بخطه» والسادس «في وفاته وما اتفق في مرضه» والسابع في «شعره وفيما مدح به رحمه الله».

وفي تحقيقنا لهذا المخطوط ننبه إلى أن الأرقام التي توجد بين العلامتين [ ] تشير إلى أرقام الأوراق في المخطوط الأصلي، وأما التذييل فإن وجده القارئ غير جازم لاسيما عند ما يتعلق الأمر بالأعلام، فذلك لعدم توفر أسماء هؤلاء الأعلام أو ألقابهم كاملة مما يجعل التعرف عليهم بشكل قاطع متعذر.

وأنا أحقق هذا المخطوط القيم يحدوني الأمل في أن تنجاب سحب الإهمال والغفلة عن موروثنا الثقافي الجزائري الأصيل والثري وأن تحظى أعلام وطننا الكبير بما تستأهله من الدراسة والتحقيق وبتبيان سيرها بما يمكن الأجيال من الاستفادة من عظيم مآثرها.

أفريل 2008

الفصل الأول

التعريف بالعلامة محمد بن يوسف السّنوسي
موضوع المخطوط
«المناقب السندسية في الفضائل السّنوسية»

نسبه:

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر السّنوسي[1]، الحسني، التلمساني الجزائري.

نبت في خير منبت عرف بالعلم، لُقّن أوله ومبدأه على يد والده ثم شقيقه لأمه، ثم استكمل غرفاته منه على يد أفذاذ من علماء بلده الجزائر شُهد لهم بالإلمام بعلوم الظاهر والباطن والجمع بين العمل والورع. فترعرع على حب المعرفة، معرفة الله والخوض في بحار علمه، فنال من المعارف ما لم ينله غيره من أهل زمانه، وكللت جهوده بثمار العرفان والإدمان والإذعان، عرفان

1. وردت ترجماته عديدة لكثرة شهرته وبزوغ نجم علومه فتجدها لدى:
- الحفناوي. تعريف الخلف برجال السلف. ج 1 ص 179؛
- التنبكتي .«نيل الابتهاج بتطريز الديباج». 563 ص؛
- الكتاني. فهرس الفهارس. ج 2 ص 252؛
- الزركلي خير الدين، معجم الأعلام. دار العلم للملايين. بيروت، 1980، مج 7، ص 154.
- كحالة. معجم المؤلفين، ج 12، ص 132؛
- ابن مريم. «البستان». ص 237؛
- «المواهب القدسية»، مخطوط توجد منه نسخ عديدة بالخزانات العامة والحسنية بالرباط.

الرحمن والإدمان على عدم مفارقته والإذعان لأوامره، فزهد في الدنيا الدنّية وأيامها الخالية الخليّة، وجد في السلوك نحو ملك الملوك حتى نال من المنح الصمدانية والمواهب الربّانية وفتحت له أبواب الخيرات والبركات فهطلت أمطار جِدّه واجتهاده هامعة تروي ظمأ عطشى العلوم العقلية والمعارف الظاهرية وغيرهم من عاشقي القرب من الحضرة العلية رائمي عبيق النفحات الربّانية.

لقد كان السّنوسي محمد بن يوسف آية زمانه وقرن أقرانه، شُرّف بتمحيص الفنون بالتمرس في أشرف العلوم فغلب عليه التوحيد ومنه أستزاد تعظيم خالق الأكوان والخوف من غياهب النيران والطموح الكادح نحو جنّة الجنان.

أما خلقه فقد زيّنه التواضع لمن لا حول لهم ولا قوة والرفق بالمخلوقات والذود عنهم والتوسط في قضاء حوائجهم لدى أهل الحلّ والربط وغلب عليه التفاؤل بما عند الله والبشاشة ودماثة الخلق وحظي بقبول عظيم وبكلم جليل تنفذ مراميه إلى القلوب نفاذا وتهوي إلى سماعه الأفئدة.

شيوخه:

تتلمذ الشيخ محمد بن يوسف السّنوسي على يد أعلام عظام نبغوا في العلوم وأتقنوا مختلف الفنون ومنهم: والده الشيخ يوسف بن عمر بن شعيب السّنوسي الذي قرأ عليه قسطا من القرآن، وأخوه لأمه أبو الحسن علي بن محمد التالوتي الأنصاري، أخذ عليه الرسالة، والعلامة نصر الزواوي وأخذ عليه في ملازمته له علوم لغة الضاد، والشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم بن تومرت، تعلم على يده من الفرائض والحساب، والعلامة محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي المعروف بالجلاّب التلمساني الذي قرأ عليه المدونة، ومحمد بن أحمد بن أبي يحي الحبّاك

التلمساني علوم الإسطرلاب فأورد عنه في أرجوزته، وأبو الحجاج يوسف بن أحمد بن محمد الشريف الحسني وقرأ عليه القرآن بسبع قراءات وأجازه إجازة عامة. وفي تفسير السّنوسي للقرآن تجد له ذكرا، وأبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبّادي، عرف بابن العباس التلمساني؛ قرأ عليه المنطق وجمل الخونجي، والعارف بالله أبو سالم إبراهيم بن محمد بن علي التازي، علوم التصوف وألبسه الخرقة وروى عنه الكثير من المسلسلات، وأبو عبد الله محمد بن الحسن بن مخلوف، الشهير بأبركان المزيلي الراشدي، وأبو القاسم الكنابشي أخذ عليه «إرشاد المعالي» والتوحيد، والعلامة أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المالكي الذي أخذ عنه صحيح البخاري ومسلم، والكثير من كتب الحديث وأبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي القلصادي ولقنه علوم الفرائض والحساب وأجازه إجازة تامة.

تلاميذه:

جاد العلامة محمد بن يوسف السّنوسي بعلوم كثيرة ونهل على يده الكثير ومنهم: أبو القاسم الزواوي وهو من أقرب رفقائه وأجلهم، ومحمد القلعي، وابن صعْد محمد بن محمد بن أبي الفضل بن سعيد التلمساني، ومحمد بن أبي مدين التلمساني، وأبو السادات يحي بن محمد المديوني التلمساني، وابن الحاج اليبدري أحمد بن محمد بن محمد المناوفي الورنيدي، ومحمد بن العباس الصغير، وإبراهيم الوجديجي التلمساني، وأحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن يحي ابن جيدة المديوني الوهراني، ومحمد بن عيسى، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن العباس التلمساني والعلامة الإمام أحمد بن أحمد زروق المتوفى سنة

899 هـ ودفين مسراتة بليبيا كما أُخبر في «السلوة»، ومحمد بن عمر بن إبراهيم الملاّلي التلمساني الذي نحن بصدد دراسة وتحقيق مختصر كتابه «المواهب القدسية في المناقب السّنوسية».

مؤلفاته:

نبغ السّنوسي في الكثير من علوم عصره وصال وجال في مجالات المعارف الرحبة ألف فيها المصنفات الكثيرة في العقيدة التي ربت كتاباته في بحورها عن الخمسة عشرة مصنفا والتفسير وعلم المنطق والحساب والطب ومنها:

- «أم البراهين» أو عقيدة أهل التوحيد الصغرى وكثيرا ما تسمى بالعقيدة السّنوسية أو بمتن السّنوسية أو الصغرى أو عقيدة أهل التوحيد؛
- تأليف في علم التوحيد؛
- تعليقات على العقيدة؛
- عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة أنف كل مبتدع عنيد، أو العقيدة الكبرى؛
- العقد الفريد في حلّ مشكلات التوحيد؛
- شرح المقدمة المبينة للعقيدة الصغرى؛
- عقيدة في التوحيد على طريقة المتكلمين؛
- عقيدة فيها دلائل قطعية؛
- العقيدة المختصرة أو العقيدة صغرى الصغرى؛
- العقيدة الوسطى؛

- عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد؛
- المقدمات في قواعد العقائد؛
- المقدمة المبينة للعقيدة الصغرى؛
- تبصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير، وضمنه ردا على آراء سيدي علي بن محمد الزرويلي، المسمى أبي الحسن الصغير؛
- تفسير القرآن الكريم (غير مكتمل)؛
- تفسير سورة ص؛
- تفسير سورة الفاتحة؛
- تفسير قول بعض العارفين «لو عبدَ المريدُ الله سبحانه وتعالى مائتي سنة ثم فتر عن العبادة لحظة لكان ما فاته من الثواب في تلك اللحظة أكثر من ثواب مائتي سنة»؛
- تفسير قول الشافعي «ليس بالإمكان أبدع ما كان»؛
- تقييد على شرح المختصر في علم المنطق؛
- تفسير ما تضمنته كلمات خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطبية؛
- الدر المنظوم في شرح مقدمة ابن أجروم؛
- ذكر الحقائق؛
- تأليف في الأدعية؛
- تأليف في مناقب الأئمة الأربعة؛
- شرح أبيات الإلبيري في التصوف؛
- شرح أبيات الجُنيد؛

- شرح أرجوزة ابن سينا؛
- شرح الأسماء الحسنى؛
- شرح أم البراهين؛
- شرح إيساغوجي في المنطق للبرهان البقاعي؛
- شرح بغية الطلاب في علم الإسطرلاب؛
- شرح الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق؛
- شرح جواهر العلوم لعبد الرحمن بن أحمد الإيجي؛
- شرح حديث التسبيح؛
- شرح الشاطبية؛
- شرح صحيح البخاري ولم يكمله؛
- شرح العقيدة (صغرى الصغرى)؛
- شرح كتاب لبعض المشارقة على نهج طوالع البيضاوي؛
- شرح كلمتي الشهادة؛
- شرح المختصر الشامل لابن عرفة الورغمي؛
- شرح المختصر في علم المنطق؛
- شرح المدونة؛
- شرح مرشدة الطالب إلى أسنى المطالب في الحساب لابن الهائم؛
- شرح مشكلات في آخر صحيح البخاري؛
- شرح المقدمات؛
- شرح مقدمة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة؛

- شرح واسطة السلوك ؛
- شرح الوغليسية في الفقه لعبد الرحمن بن أحمد البجائي الوغليسي (لم يكمل)؛
- فتاوى ووصايا ومواعظ ورسائل وحجب؛
- كتاب الحقائق في تعريفات مصطلحات علماء الكلام؛
- مجربات في الطب؛
- مختصر بغية المسالك في أشرف المسالك للساحلي؛
- مختصر حاشية التفتازاني على الكشّاف للزمخشري؛
- مختصر الرعاية لحقوق الله للمحاسبي؛
- مختصر الروض الأنف لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي؛
- مختصر شرح الزركشي لصحيح البخاري؛
- مختصر كتاب في قراءات القرآن السبع؛
- مختصر عمدة أهل التوفيق والتسديد؛
- مختصر في علم المنطق؛
- المقرب المستوفي في شرح فرائض الحوفي؛
- نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير، وهو مطبوع بوزارة الأوقاف المغربية بالرباط؛
- نظم في الزكاة؛
- نظم في الفرائض؛
- بعض من رقيق الشعر وردت في «المواهب القدسية في المناقب السّنوسية».

وفاته:

انتقل العلامة محمد بن يوسف السّنوسي الجزائري إلى الرفيق الأعلى ورضوانه يوم الأحد العاشر من جمادى الأخيرة من سنة خمسة وتسعين وثمانمائة.

هذه نبذة في عجالة عن سيرة وآثار العلامة محمد بن يوسف السّنوسي الحسني الجزائري ولننتقل الآن للعلامة أحمد بابا التنبكتي لنتلمس عن قرب «اللآلي السندسية في الفضائل السّنوسية».

الفصل الثاني

التعريف بالمؤلف

نسبه:

هـو أبو العباس أحمد باب بن أحمد بـن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بـن عمـر بن عـلي بن يحي بـن كدالة بن مكـي بن نيق بن لـف بن يحي بنم تشـت بـن تنفر بن حيراي بـن النجر بن أبي بكر عمـر الصنهاجي الماسوفي السوداني التكروري التنبكتي.[1]

مولده:

نشـأ الشـيخ أحمد بابا التنبكتـي بمدينة تنبكتـو[2] الواقع حاليا تحت سيادة دولة مالي وكان ميلاده سنة 963 هـ الموافق لسنة 1556 م في عائلة بني أقيت المسوفية.[3]

1. مـن بـين من ترجم له: القادري محمد بن الطيب في «نـشر المثاني لأهل القرن الحادي العشر والثـاني»، من تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، مطبعة النجاح الدار البيضاء، 1977، مج 1 ص 254 - 255.

2. أو تنبكـت مدينـة تقـع حاليا بجمهورية مالي تقع في مدخل النيجـر على الضفة اليسرى من نهر كانت في العصر الوسـيط مركزا تجاريا مهما حيث يتم فيها تبادل السـلع القادمة من مناطق البحر الأبيض الموسط بالذهب عرفت بمسجدها جنقبز المشهور أنشاها الطوارق سنة 1100 م وقبل سـنة 75-12 دخلت تحت حكم سلطان مالي ثم عاود الطوارق الاستيلاء عليها سنة 1433 ثـم ضمها ملك سـونغاي سـوني عبي ثـم احتلها مراكش سـنة 1591 بعد أن هزمت جيوشه السلطان على سوني وظلت عاصمة له حتى تاريخ 1660. أنظر موسوعة:
Le Grand Larousse Universel. Larousse Bordas. Paris 1997, tome 14, p 1281.

3. القادري محمد بن الطيب، «نشر المثاني» 1977 مج 1 ص 254.

وكان المسوفيون يتمتعون بمكانة اجتماعية مرموقة إلى جانب ما نالوه من الحظوة العلمية؛ فقد ولي الكثير منهم القضاء والتعليم وخرج من ظهرانيهم مُفتون كثيرون ورجال علم ووجاهة.[1]

تعليمه:

لقد تميز الوسط العائلي الذي نشأ فيه الشيخ أحمد باب بتمكّنه من مشارب العلوم وكان أول من أخذ عليه هو والده الشيخ أحمد بن أحمد حيث تلقى منه علم الحديث والمنطق ولقن من لدنه «كتاب الشّفا» للقاضي عياض[2] والكثير من الكتب الأخرى.

كما أخذ الشيخ أحمد بابا النحو على يد عمه الشيخ أبي بكر بن أقيت وأجازه في ذلك.[3] ومن بين من أجازه الشيخ يحي بن محمد الحطّاب من مكة المكرمة[4] كما أجازه أيضا الشيخ محمد بن محمد المعروف بمحمد خادم الغلاني.[5]

أما الشيخ محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي المعروف بَغْبُع[6] فكان بحق أبرز أساتذة الشيخ أحمد باب فقد رافقه في مشواره

---

1. نشر المثاني، مج 1، ص 274.

2. هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي المتوفى سنة 544 هـ عالم متمرس في الأصول والفقه واللغة تولى قضاء غرناطة من تصانيفه «الشّفا وتعريف حقوق المصطفى» وله «ترتيب المدارك لمعرفة أعلام مذهب مالك»، انظر سيرته في ابن خلكان، «وفيات الأعيان» ج 1 ص 496 وفي خليفة حجي «كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون»، ج 1 ص 395.

3. ابن مخلوف في شجرة النور الزكية في تراجم السادة المالكية تحقيق عبد المجيد خيالي. دار الكتب العلمية بيروت 2003، مج 1، ص 432.

4. ألف سنة من الوفيات ص 279.

5. المقّري التلمساني، «روض الآس» للمقّري التلمساني، ص 311.

6. الشيخ بغبع المتوفى سنة 1002 هـ أخذ عليه العلم خلقٌ كثير من تواليفه الكثيرة وفتاوى

العلمي لما يربو عن عشر سنين قرأ عليه خلالها علوما كثيرةً متعددة ومتشعبة، منها التفسير والفقه والحديث وعلوم الأصول والعربية والبلاغة والتنجيم والتصوف والعروض.[1]

وعن تكوينه العلمي الذي تلقاه على يد الشيخ بَغْبُع. يقول أحمد باب أنه قد قرأ عليه «قراءة بحث وتحقيق وتحرير»[2] و في موضع آخر يقول إنه «ختم عليه الموطأ قراءة تفهم» فهو في نظره شيخه وأستاذه الذي ما انتفع بأحد انتفاعه به.[3]

ابتلاؤه:

تعرض الشيخ أحمد باب التنبكتي إلى ابتلاءات عظيمة ومحن ورزايا تُكْلم الجبال الرواسي فقد عانى المهانة والأسر والتشرد والكسر وعصفت نوائب الدهر بأهله فتلقفت يد المنون أقرب الناس إليه وتلف سواد كبير منهم بعد أن تفشى الطاعون بمضاربهم.[4]

أما وقعه في الأسر فقد أصيب بذلك عندما هاجمتهم جيوش المغرب وكان يقودها محمد بن زرقون، فنال عشيرته الكثير من

يقول بن مخلوف تتبع ما في الشرح الكبير للتتائي من السهو نقلا وتقريرا وله تعاليق على المختصر نبّه فيها على ما وقع لشراح خليل من أخطاء. أنظر، ابن مخلوف محمد بن محمد بن عمر قاسم المتوفى سنة 1360 هـ «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية»، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية بيروت، 2003، ج 1، ص 416.

1. قال عنه التنبكتي في «النيل» «كان العجب العجاب إيثارا لوجه الله مع محبته للكتب، وسعيه في تحصيلها شراء ونسخا نفع الله به كثيرا «النيل»، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة. كلية الدعوة الإسلامية طرابلس 1989، ص 600.
2. «النيل»، ص 12.
3. أحمد بابا التنبكتي، «النيل»، ص 602.
4. «النيل»، ص 13.

العـذاب والتنكيل، حيث اقتيدوا جميعهـم مكبلين بالأغلال إلى مدينة مراكـش وزج بهم في سـجونها مـن أول رمضان 1002 هـ إلى غاية 11 رمضان من سـنة 1004هـ.[1] ولعل مرد هذا الهجـوم على تنبكت وآل أقيت هو رفض الشـيخ أحمد بابا التنبكتي الاعتراف بسـلطة السلطان المنصور السـعدي سـلطان مراكش آنذاك واتهامه بتدبـير ثورة 1593 م لتقويض الحكم المغربي لها.[2]

وأمـا مـا حدث له من مكاره جسـدية، فكان وقوعه من على سـنام الجمل عند اقتياده إلى الأسر فانكسرت ساقه.[3]

لم تتوقـف مصائبـه عند الأسر بل تعدت ذلـك إلى ضياع الكثير من ممتلكاته ومنها كتبه القيمة التي فقد في خضم تلك الأهوال ما يزيد عن ستمائة مجلد منها.[4]

وأما بلية نقص الأنفس فتمثلت في هلاك معظم أفراد العشيرة التي ينتمـي لهـا بالطاعـون ووفاة ابنه محمـد[5] وعمه عبد الله بـن محمود بن أقيت بهذا الداء.[6]

وقـد دامت إقامـة التنبكتي بمراكش حتى تـوفى المنصور الذهبي[7] فقد بقي حسـب السـلاوي بمراكش إلى أن مات المنصور فما سرح آل

1. الزركلي، «الإعلام» مج 2، ص 303 .
2. الزركلي في «الأعلام» مج 1، ص 102.
3. أنظر: التنبكتي «النيل»، ص 413.
4. «النيل» ص 14.
5. أحمد بن محمد المقّري التلمساني، روضة الآسي عطرة النفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرية بين مراكش وفاس، طبعة المملكة المغربية، 1983 ص 314 والسلاوي ج 5 ص 131.
6. نزهة الحاوي ص 98 ألف سنة من الوفيات ص 239.
7. السلطان السعدي أبو يعقوب المنصور المتوفى سنة 1603هـ.

أقيت حتى اشترط عليهم الإقامة بمراكش. وبعد وفاته أذن لهم ابنه زيدان بالرجوع إلى بلادهم.[1]

ومن أعجب الأمور أن التنبكتي قد جاد كالغيث الهامع خلال فترة ابتلائه هذه فألّف كتبا كثيرة منها «نيل الابتهاج» سنة 1005 هـ وجعل له اختصار في «كفاية المحتاج» الذي يكون قد أكمل سنة 1012 هـ وقد عاد منتصبا للدرس ورجعت له بعض من كتبه.

وفي هذه الفترة بالذات ألف الشيخ أحمد بابا كتاب اللآلي السندسية في المناقب السّنوسية. ولم تتوقف نشاطاته على التأليف بل تعدته للفتوى وتدريس العلم، فقد تحدث عن تلك المرحلة التي قضاها بمراكش قائلا : «لقد أفتيت بها لفظا وكتبا بحيث لا تتوجه الفتوى فيها غالبا إلا إليّ وعينت إليّ مرارا فابتهلت إلى الله تعالي أن يصرفني عنها».[2] وتلك دلالة على عظيم مكانة التنبكتي وسعة اطلاعه والتفات الناس حوله طلبا للعلم والفتوى.

وفاته:

بعد وفاة السلطان أحمد المنصور أذن له ابنه زيدان في الرحيل عن مراكش التي ضاق بها التنبكتي ذرعا وطلب الله أن لا يردّه إليها أبدا[3] وكان ذلك في حدود سنة 1010.[4] وفي تنبكت كرس الشيخ أحمد باب بقية عمره للدرس إلى أن التحق بالرفيق الأعلى بتاريخ السادس من

---

1. السلاوي الناصري احمد بن خالد، الاستقصاء لتاريخ المغرب الأقصى ج 5 ص 130.
2. المراكشي، الإعلام، الرباط 1974، ص 97.
3. قال التنبكتي عن مراكش «لا ردّني الله إلى هذه المعاد وأرجعني إلى هذه البلاد». الحاوي، ص 98.
4. السملالي، عباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، مج 2 ص 306.

شعبان 1036 هـ الموافق لسنة 1627 م.[1] وقد رأى المحبي أنه توفي في 7 شعبان 1032 هـ الموافق لـ 6 حزيران 1623 م.[2]

مؤلفاته:

ألّف الشيخ أحمد باب التنبكتي في الفقه والتراجم والنحو والحديث والتصوف ما يزيد عن خمسين مصنفا ومن مؤلفاته:

- المقصد في الشرح على مختصر خليل؛
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج[3]
- حاشية منن الجليل على مهمات تحرير الشيخ خليل؛
- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج[4]؛
- النكت الوفية بشرح الألفية؛

---

1. أنظر: الإفراني، صفوة من انتشر 52 الإعلام ج 2 ص 306 ونشر المثاني ج 1 ص 151 أما ابن مخلوف فيرى أن وفاته قد حدثت سنة 1032 هـ مثله مثل صاحب خلاصة الأثر ج 1 ص 172.

2. المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج 1، ص 17 والقادري محمد بن الطيب في «التقاط الدرر ومستعاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر» تحقيق هاشم العلوي القاسمي دار الأفاق الجديدة بيروت 1983، ص 86.

3. وهو عبارة عن تكملة لكتاب «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب» لصاحبه برهان الدين بن إبراهيم بن فرحون اليعمري المدني الأندلسي المتوفى سنة 1396 ومنه مخطوط يوجد في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 2358 وقد تم تحقيقه.

4. يوجد مخطوط تحت رقم 681 بالخزانة الحسنية بالرباط وهو اختصار لنيل الابتهاج بتطريز الديباج الذي يشكل هو ذاته تذييلاً قام به التنبكتي لكتاب للديباج المذهب في معرفة علماء المذهب لابن فرحون. وقد تم تحقيقه من قبل الأستاذ محمد مطيع وصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب بتاريخ 2002 وتم تحقيقه أيضا من قبل السيد الهرامة الذي ورد ذكره آنفا.

- اختصار شرح المقدمة الصغرى ؛
- التحديث والتأنيس في الاحتجاج بابن إدريس ؛
- تنبيه الواقف على تحرير نية الحالف؛
- ترتيب جامع المعيار للونشريسي ؛
- جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الظلمة؛
- نيل الأمل في تفضيل النية على العمل؛
- غاية الإجادة في مساواة الفاعل للمبتدإ في شرط الإفادة؛
- تعليق على مواضيع من خليل ومواضع من ابن الحاجب؛
- مسائل متضمنة فنونا في صور أسئلة؛
- فتح الحيي في مسالة حي؛
- المسك الأنم إلى معرفة هلم؛
- منور الحالك في شرح بيتي ابن مالك؛
- المطلب والمأرب في أعظم أسماء الرب؛
- جزء في تكفير الكبائر بالأعمال الصالحة؛
- نشر العبر؛
- خمائل الزهر؛
- الدر النظر؛
- رسائل نثرية مودعة في المكتبة الجزائرية؛
- معراج الصعود؛
- فوائد النكاح على مختصر كتاب الوشاح للسيوطي؛

- استطراد الطرفاء؛
- تحفة الفضلاء ببعض العلماء[1]؛
- مرآة التعريف بفضل العلم الشريف؛
- اللآلي السندسية في المناقب السّنوسية وهو مختصر عن المواهب القدسية لمحمد الملالي. وهذا هو المخطوط الذي بين يدي القارئ.

1. يوجد منه مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 5675 وهو عبارة عن دراسة تتركز حول فضائل العلماء وعلى ضوء القرآن والسنة ومراتبهم وغير ذلك من الحكم المتصلة بهم. وقد قام معهد الدراسات الأفريقية بالرباط بطبعه.

الفصل الثالث

تحقيق المخطوط

التعريف بالمخطوط:

إن مخطوط اللآلي السندسية في المناقب السّنوسية هو في الحقيقة مختصر لمخطوط المواهب القدوسية في المناقب السّنوسية لعمر بن إبراهيم الملالي التلمساني ومخطوط «اللآلي السندسية في المناقب السّنوسية» منسوخ في ثلاث نسخ مختلفة وكلها موجودة على مستوى الخزانة العامّة بالرباط بالمملكة المغربية، وهي جميعها منسوب لصاحبها التنبكتي وتمثل عملا تلخيصيا قام به لكتاب الملاّلي المسّمى «المواهب القدوسية في المناقب السّنوسية».[1]

---

1. «المواهب القدّوسية في المناقب السّنوسية» لأبي عبد الله محمد بن عمر بن إبراهيم التلمساني الملالي أربع نسخ بالخزانة الملكية بالرباط. الأولى تحت رقم : 9447/ مجموع وتشكل ترجمة وافية للعلامة محمد بن يوسف السنوسي عالم تلمسان المعروف بصاحب العقائد ومطلعه: «الحمد لله الذي ملأ قلوب أوليائه وأزال عنها حجاب الغفلة شهدوا عظيم جلاله ...و آخره: اللهم أغفر لنا يا مولانا ولوالدينا ولإخواننا ولإخوتنا ولأحبابنا ولأشياخنا ولمن علمنا ولأصحاب الحقوق علينا ولمن أحبنا في الله وأحببناه ولكافة المسلمين أجمعين». وقد كتب بخط مغربي جيد ويقع في 93 صفحة مقياس 27.5 / 21.5 سم مجهولة الناسخ والتاريخ. كما توجد منه نسخة ثانية تحت رقم 1798/ مجموع كتبت في شوال من سنة 1125 هـ وتقع في 150 صفحة مقياس 27.5 / 18 سم تحتوي على تعقيب وبعض جوانبها تالفة ونسخة ثالثة تحت رقم 7008/ مجموع كتبت بخط مغربي بيد عبد الرحمن الراشدي التواتي تقع في 179 صفحة مقياس 20 في 15 سم بها خروم

صورة الصفحة الأولى من المخطوط رقم 2100 د/8 بخط مغربي نسخي متوسط

النسخة الأولى: أما المخطوط الأول ورقمه 2100 د/ 8 ويقع ضمن مجموع من كتاب في تراجم الصوفية ويبتدئ من ص 249 وينتهي في

ونسخة رابعة تحت رقم 1266 كتبت بخط مغربي متوسط تقع في 113 صفحة مقياس 28 / 20 سم بها تعقيب وخروم غير مؤرخة.

269 خط غير واضح صعب الفهم ومهترىء وغامق الحبر. ومطلعه: «ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا، ما شاء الله لا قوة إلا بالله، الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى والصلاة والسلام على سيد الأصفياء، وعلى آله وصحبه الأتقياء وبعد : يقول عبد الله الفقير الحقير ذو القصور والتقصير أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت عرف بابا التنبُكتي» الخ...

النسخة الثانية: والثاني هو مخطوط تحت رقم 984 د وهو مجموع عنوانه إفادة المرتاد بالتعريف بالشيخ ابن عبّاد. ويقع كتاب التنبكتي ضمنه في جزء يبتدئ من ص 104 إلى 129 أي يحتوي على 25 ورقة أي 50 صفحة ذات خط مغربي رقيق ومُتراص، تم نسخه حسب ما ورد فيه عشية يوم الثلاثاء من شعبان سنة 1149 هـ على يد الفقير إلى رحمة الكبير المتعالي عبد المجيد بن علي الحسني المَنالي والى الله عليه سحب جوده المتوالي على مرّ الأيام والليالي من نسخة تاريخها عام 1066 هـ كتبت من خط الفقيه العلامة سيدي أحمد المقّري التلمساني، نسخها من نسخة المؤلف التي بخطه رحم الله الجميع بمنّه وكرمه آمين.

ومطلع هذا المخطوط بعد البسملة والصلاة على النبي: «ربنا أتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا، ما شاء الله لا قوة إلا بالله، الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى والصلاة والسلام على سيد الأصفياء وعلى آله وصحبه الأتقياء، وبعد : يقول عبد الله الفقير الحقير ذو القصور والتقصير أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت عرف باب التنبُكتي» وآخره «عجل الله بالفرج آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا». الخ...

صورة الصفحة الأولى من المخطوط رقم 984 د

ويتضح من ذلك أن العلامة التنبكتي قد أتمه بمدينة مراكش يوم السبت الرابع من ربيع الأول من سنة 1004 هـ أي في الفترة التي مازال فيها رهن النفي أي تحت الإقامة الجبرية وفق معايير العصر الحالي.

النسخة الثالثة: أما الثالث فهو مخطوط رقمه 2594 د ويقع في 32 ورقة أي 64 صفحة وهو كتاب منفصل أي لا يدخل ضمن أي مجموعة

وعنوانه منفصل وخطه مغاربي واضح نسبيا؛ ولذلك اعتمدناه كنسخة أساسية لترجيحنا بأنه النسخة الأصلية للكتاب التنبكتي بما انه لا يوجد ضمن مجموعة تحتوي على جملة من المخطوطات على غرار المخطوطين الأول والثاني. وقد نسخ هذا المخطوط بخط مغربي محوّط ومتراص صعب القراءة نسبيا بتاريخ الثالث. وانتهى نسخه على يد عبد العزيز بن الحسن الإسماعيلي يوم الجمعة العاشر من قعدة الحرام عام 314 هـ.

وقد اعتمدنا النسخة الثالثة كأصل في تحقيق الكتاب، وذلك بالنظر إلى جودة خطها مقارنة مع باقي النسخ، وكذا حالة الحفظ التي هي عليها.

ويتجلى من أسلوب المؤلف أن الثلاث تشكل كتابا واحدا أصيلا وأصالة اللآلي تظهر عيانا في أسلوب الكاتب وفي التشابه الكامل والتماثل الكامل بين هذه النسخ، وإن كان هناك تباينٌ في عدد الصفحات فذلك لأن غاية المؤلف هو الاختصار. وفي ذلك دلالة على نسبة هذه المخطوطات لصاحبها التنبكتي؛ فهو يميل إلى اختصار الكتب الهامة وينزع ما بها من زوائد على حدّ قوله.

أما الدليل الدامغ على أصالة هذا المخطوط هو ما ذكره فيه عن محنته وأنه اطّلع على الأصل المختصر أي كتاب الملآلي وهو في السجن وقد وصفه بأنه من جملة غرائب كتب لم يطلع عليها أثناء حبسه، ويشير إلى تلك الحقبة الخزينة من حياته قائلا: و..ما قضاه في الأزل. وتجد في نفس الكتاب ألفاظها تراه يستعملها في غيره. فمثلا يقول في وصف دراسته عن أستاذه بغبع :«قرأت عليه قراءة تحقيق وتحرير»[1] وتجد نفس التعبير في «اللآلي» حيث يقول عن السّنوسي فقرأ عليه قراءة تحرير.[2]»

---

1. ترد هذه العبارة كثيرا في كتابات التنبكتي.
2. توجد في هذا المخطوط الذي هو قيد التحقيق.

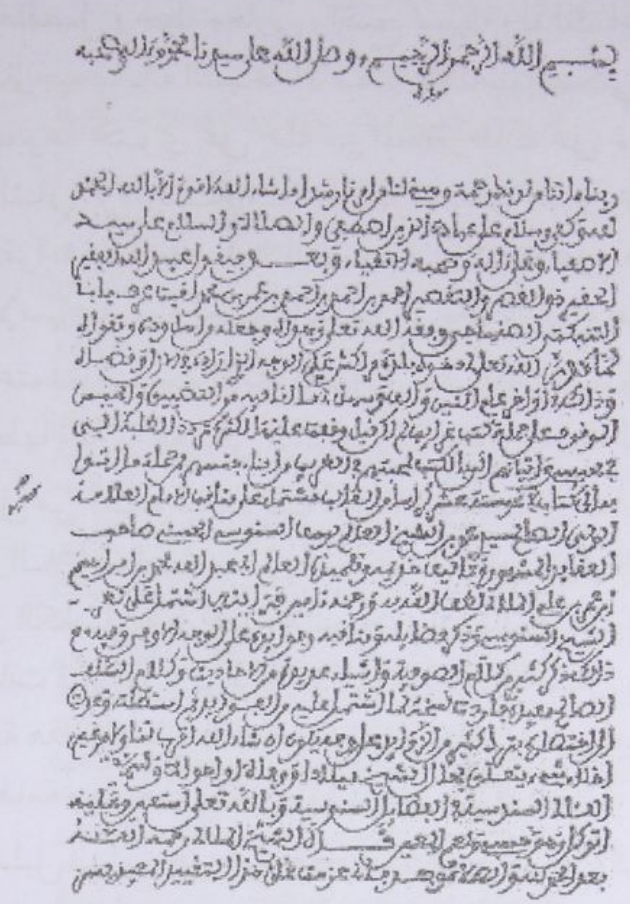

صورة الصفحة الأولى من المخطوط رقم 2594 د

وليس من المستبعد تواجد نسخ أخرى من هذه المخطوطات تحت عناوين قد تكون مختلفة اختلافا طفيفا عن الكتاب الذي بين يدينا فقد أشار مثلا لويس ماسينيون في مقال تحت عنوان «مكتبة صحراوية» تعرض فيه لجرد مستوفى لمكتبة الشيخ صيبيا بنواحي أدرار بالجزائر وذكر من بين محتوياتها كتابا للشيخ أحمد بابا التنبكتي عنوانه: «المفاتيح القدسية في المناقب السّنوسية».[1]

1. Louis MASSIGNON. Bibliothèque Saharienne», in «Revue du Monde Musulman», mai-aout 1909 tome VIII n° V, p 418.

التعريف بالمخطوط المُختصَر:

وصاحبه هو أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم عمر بن علي الملاّلي التلمساني، المتوفى سنة 1492 م ونسبته وفق ما يوحي به اسمه تعود إلى بني ملاّل وله، فضلا عن ترجمة أستاذه السّنوسي «المواهب القدوسية في المناقب السّنوسية»، مصنفات أخرى منها «شرح صغرى السّنوسي» و«توحيد الأزهرية».[1]

موضوع المخطوط هو سيرة العلامة محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب التلمساني الحسني (أبو عبد الله) المحدث المتكلم المنطقي المقري المشارك في الكثير من العلوم. ومن مؤلفاته «شرح إيساغوجي» في المنطق «شرح قصيدة الحبّاك في الإسطرلاب» ومصنف في «مناقب الأربع رجال المتأخرين»، و«أم البراهين في العقائد» و«حاشية على صحيح مسلم».[2]

لا يشير محمد رضا كحالة في سيرة السّنوسي محمد بن يوسف إلى تلميذه الملالي.

تحقيق لمخطوط:

«اللآلي السندسية في المناقب السّنوسية»

[01] بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

ربنا آتنا من لدنك رحمة، وهيئ لنا من أمرنا رشدا، ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

---

1. الزركلي، الأعلام ج 5، ص 301.

2. كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت مج، 12 ص 132.

الحمد لله وكفى والسلام على عباده الذين اصطفى والصلاة والسلام على سيد الأصفياء وعلى آله وصحبه الأتقياء.

وبعد، فيقول عبد الله الفقير الحقير ذو القصر والتقصير، أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت عرف باب التنبكتي الصنهاجي[1]

---

1. نسبة لصنهاجة هي كبريات قبائل البربر قال صاحب القاموس المحيط «صنهاجة قوم بالمغرب من ولد صنهاجة بن حمير»، وقال بن الأثير :«البربر من ولد ثميلا بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لوذ بن سام بن نوح ما خلا صنهاجة وكتامة فإنهما بنو فريقش بن صيفي بن سبأ» وقال بن سعد» البربر هم ثميلا بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لوذ بن سام بين نوح ما خلا صنهاجة وكتامة فإنهما بنو فريقش بن قيس بن صبأ ويقال إن عمليق أول من تكلم بالعربية حين ظعنوا من بابل وكان يقال لهم ولجرهم العرب العاربة»و قال صاحب نهاية الإرب «بنو صنهاجة بطن من البرانس من البربر مساكنهم ببلاد المغرب وهم بنو صنهاجة بن بربر بن ويق بم اوريغ بن برنس بن بربر ويقال إنهم حمير من عرب اليمن وليسوا بربر» قال أو الفدا:«لقد أختلف في البربر اختلافا كثيرا فقيل إنهم من ولد فارق بن بيصر بن حام البربر يزعمون أنهم ولد قيس ومن البربر من يزعم أنها من ولد أفريقس بن صيفي الحميري ومنهم من تزعم أنها من لخم والأصح أنهم من ولد ..ذكرنا أنه لما قتل جالوت تفرقت بنو كنعان فقصدت طائفة منهم بلاد المغرب وسكنوا تلك البلاد وهم البربر ومنهم صنهاجة» ..إلخ أما بن خلدون فذكر أقوال الطبري والجرجاني والكلبي والبيلي في أن صنهاجة وكتامة من حمير وقال معقبا عن ذلك وهذا ما يأباه نسابة البربر. وباختصار أجمع مؤرخو العرب على الأصول الحميرية لصنهاجة عدا بن خلدون، لمزيد من التعمق في هذه المسألة أنظر:

- الفيروز آبادي، نجم الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط والكابوس الوسيط لما ذهب من كلام العرب شماميط.باب الباء. المطبعة الحسينية مصر 1330هـ مج 1، ص 370.
- بن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري، الكامل في التاريخ ج 1 ذكر نوح عليه السلام.
- القلقشندي، أحمد بن علي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية بيروت، د-ت، ص 290.
- بن سعد الطبقات الكبرى تقديم الدكتور إحسان عباّس دار صادر بيروت، 1998 ج 1، ص 43.
- أبو الفدا، الملك المؤيد إسماعيل، تاريخ أبو الفدا.
- بن خلدون عبد الرحمن الحضرمي، العبر، ج 1 ص 12 دار الأعلمي بيروت د- ت.

وفّقه الله تعالى وهداه، وجعله من أهل ودّه وتقواه. لما قدّر الله تعالى لي دخول بلدة مراكش على الوجه الذي أراده في الأزل وقضاه، وذلك في أواخر عام اثنين وألف، وسّهل لي ما أنا فيه من التضييق والحبس، الوقوف على جملة كتب غرائب لم أكن قبل وقفت عليها لكثرة تردد الطلبة إليّ في محبسي وإتيانهم إلي بالكتب لمحبتهم في الغريب من أبناء جنسهم، فمن جملة ما أتوا به إليّ كتاب في نحو ستة عشر كراسا من القالب مشتمل على مناقب الإمام العلاّمة الوليّ الصالح سيدي محمد بن الشيخ العالم يوسف السّنوسي الحسني صاحب العقائد المشهورة تأليف خديمه وتلميذه العالم أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عمر بن علي الملاّلي لطف الله به ورحمه آمين، فرأيته اشتمل على تعريف الشيخ السّنوسي، وذكر فضائله ومناقبه وفوائده على الوجه الأوفى. وفيه مع ذلك ذكر كثير من كلام الصوفية وأشياء عديدة من الأحاديث، وكلام السّلف الصالح مفيدة، فأردت نسخه لما اشتمل عليه من الفوائد ثم استطلته[1] وعدلْت إلى اختصاره بترك الكثير من الزوائد على وجه يكون إنشاء الله أقرب تناولا من غير إخلاء شيء يتعلق بحال الشيخ ميلادا ووفاة أو أحوالا وسميته بـ «**اللآلي السندسية في الفضائل السّنوسية**» وبالله تعالى أستعين وعليه أتوكّل وهو حسبي ونعم المعين.

قال الشيخ الملاّلي رحمه الله بعد الحمد لله والصلاة وبعده فإني عزمت على هذا التقييد المفيد يسَّر [02] الله تمامه على أكمل طريق، أن اذكر جملا من فضائل شيخنا الإمام البالغ في التحقيق والورع منتهى المرام، قطب الوجود البركة لكل مريد، إمام المتقين وسلطان العارفين،

---

1. أي وجدته طويلا.

صاحب الإشارات العليّة، والحقائق القدسية، المعدوم الغريب في هذا الزمان، كرامة أهل تلمسان، سيدنا ومولانا ووسيلتنا إلى ربنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السّنوسي الحسني تغمّده الله بجميل الرضوان، وأسكنه فراديس الجنان، ووفقنا لاتباع آثاره، وجعلنا من جواره، وأسمى شيوخه الذين اعتمد عليهم، وشيئا من فضائلهم، خصوصا أخاه شيخنا وبركتنا الشيخ العالم المتفنن الحافظ المتقن، الزاهد العابد، الورع الصالح، البركة المنقطع إلى الله أبا الحسن علي بن سيدنا وبركتنا أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي التالوتي[1] تغمده الله برحمته، مع ذكر شيء من فوائده في مهمّات مسائل أشكلت على كثير من أهل الزمان، وما قاله في تفسير آيات من القرآن، وفي أحاديث وكلمات الصوفية، مما أشكل معناه، وتواليفه وما بها من المزايا، وأحواله وعلومه، وما قاله من الشعر، وما مُدح به، وينحصر في أبواب عشرة ومقدمة، وليس كل ما سمعته من الشيخ استحضرته وقت تأليفي هذا، ولا كل ما استحضرته يمكن إثباته، وإنما حملني على ما ألّفت هنا محبتي لهذا السيد الشريف لجميل إحسانه إلينا، فرأيت تخليد مناقبه العليّة، ومفاخره السّمية، في الدفاتر أعمّ نفعا، وألصق بالخاطر، ويتحدث بها بعدي البادي والحاضر وسميته بـ: «**المواهب القدوسية في المناقب السّنوسية**». انتهى.

---

1. التالوتي الأنصاري قال عنه الحفناوي: كان أخ الشيخ السنوسي لأمه وكان حافظا محققا متقنا من أكابر أصحاب الحسن أبركان توفي في صفر عام 895 كان يحفظ الرسالة والتسهيل لابن مالك وابن الحاجب. أنظر: الحفناوي أبي القاسم محمد بن أب القاسم الديسي، تعريف الخلف برجال السلف فونتانا الجزائر، ج 2، ص 267.

قلت: وأنا أسقطت من أبوابه في اختصار ثلاثة أبواب[1]: الباب الخامس من كلامه على الآيات، والسادس من كلامه على الأحاديث، والسابع من كلامه لما أشكل من كلام أهل الحقائق، وكثير مما مدُح به من الأشعار لأني نويت كتابة هذه الأبواب الثلاثة في موضع آخر، لكونها تواليف على حدتها، وهذا حين دخولي في الاختصار.

1. أي لم يبقي منه سوى سبعة أبواب.

المقدّمة

قال صاحب كتاب: «التشوف»[1]: الفائدة في ذكر الأولياء تقوية قلب السالك،[2] وقد قال سفيان بن عيينة[3] عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة.[4] وقال يونس بن محمد: ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين.[5]

ورأيت بخط شيخنا السّنوسي من كلامه: من احترم وليا وتوسل به، فقد عظّم حرمات الله، وإكرامهم قليل على تعظيم [03] شعائر الله. هذا المتوسل بهم، فكيف بمن واظب على زيارتهم وتضرع عند قبورهم أو ساحتهم المجاور لناحيتهم، إذ هم القوم لا يشقى جليسهم، وأحسن الناس جِوارا.[6]

1. يعين به التادلي، أبو يعقوب، يوسف بن علي عرف بابن الزيات المتوفى سنة 627 هـ صاحب «التشوف إلى رجال التصوف وأخبار ابن العباس السبتي».

2. أي المريد والطامح لخوض غمار الزهد والتصوف.

3. هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي المكّي المتوفى سنة 752هـ محدث وفقيه من آثاره تفسير للقرآن الكريم أنظر الذهبي، أبي عثمان «سير أعلام النبلاء» ج6 ص 286

4. ذكر ذلك ورد في التادلي»التشوف إلى رجال التصوف وأخبار ابن العباس السبتي»، تحقيق د. أحمد التوفيق. كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط 1997 ص 38.

5. لعلّ أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث القرطبي المالكي، المتوفى سنة 532 هـ. قال بن شكوال كان عارفا باللغة والإعراب ذاكرا غريب الأنساب وفير الأدب قديم الطلب جامع للكتب. ورد في «الأعلام» للزركلي: ابن الصفار وفي «الديباج» لابن فرحون: أبن القصار (الزركلي، «الأعلام»، مج 8،ص 260 وابن فرحون، «الديباج»، ص 260).

6. قد يدل ذلك على استحسان السنوسي الآراء القائلة بجواز التوسل وزيارة لزيارة الأولياء والدعاء عند قبور الصلحاء وأصحابها عامتهم من المتصوفة: كالإمام أبي حامد الغزالي، الذي

ذكـر في «الإحياء» عن هذه الممارسـة قوله: «أمـا الحجّ والجهاد فقد ذكرنا فصلـه وآدابه وأعماله الظاهريـة والباطنيـة في كتاب أسرار الحـج ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السـلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسـائر العلماء والأولياء وكل من يتبرك به لمشـاهدته في حياته يتـبرك بزيارتـه بعد وفاتـه ولا يمنع من ذلك قوله ﷺ: لا تشـد الرحال إلا إلى ثلاثة مسـاجد، مسـجدي هذا والمسجد الحرام والمسـجد الأقصى، لأن تلك المساجد متماثلة في الأجر بعد هذه المسـاجد وإلا فـلا فرق بـين زيارة قبـور الأولياء والأنبيـاء والعلماء في أصل الفضـل وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتا عظيما حسب اختلاف درجاتهم عند الله « أو الشوكاني عن الدعاء عند قبور الأولياء في قوله:»الدعاء مستجاب عند قبور الأولياء والصلحاء شريطة أن لا تنشـأ عن ذلك مفسـدة فبركة المكان تسري على الداعي» أو بعض المتأخرين وفي باب التوسـل كلام كثير من العلماء وأهل الرأي ففي تفسير قوله تعالى ﴿يأيها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ (المائدة، 35)، قال العلامة محمد بن علوي المالكي الحسني خادم العلم الشريف بالبلد الحرام: "الوسـيلة لفظ عام شـامل للتوسـل بالذوات الفاضلة من الأنبياء والصالحين في الحياة وبعد الممات وبالإتيان بالأعمال الصالحة على الوجه المأمور به وللتوسل بها بعد وقوعها. أنظر:

- الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، تحقيق د. محمد محمد تامر. مؤسسة المختار. القاهرة 2004، ط 1، ج 2، ص 348.
- الشوكاني محمد بن علي. تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين. دار الفكر بيروت 1988. ط1، ص 62 و63.
- السيد محمد بن علوي المالكي الحسني. مفاهيم يجب أن تصحح. المكتبة العصرية. بيروت 2005، ص 103.

الباب الأول

في ذكر شيوخه

فمنهم أوّلهم أبوه الشيخ الصالح المبارك الزاهد العابد الأستاذ المحقق المقرئ الخاشع أبو يعقوب يوسف بن عمر بن شعيب السّنوسي نسبة لقبيلة بالغرب، الحسني نسبة للحسن بن علي، فثبت له الشرف من جهة الأم[1]، كما قاله جماعة حسبما بسط حججهم في ذلك في كتاب: «المهم وإسماع الصّم»[2] والتعلق بهذا الجناب يُكتفى منه بأدنى

---

1. لا يوافق حشلاف على نسب الشرف للسنوسي على طريق الأم فقط ويورد شجرة مغايرة نوعا ما لما ذكره العشماوي الذي تقدم ذكره وقوله كالآتي: سيدي محمد بن يوس السنوسي دفين العبّاد، من وقف على قبره يسم رائحة المسك وقد شهدناه،ثبت شرفه من جهة الأبوين، فهو محمد بن يوسف بن علي بن أحمد بن سيدي رحمون بن محمد بن عبد الله بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن موسى بن عمران بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن رابح بن عبد الله بن محمد بن إدريس بن إدريس الخ...أنظر: حشلاف عبد الله بن محمد بن الشارف بن علي، كتاب سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، 1929، ص 55.

2. لعلّه كتاب «إسماع الصمّ في إثبات الشرف للام» للعلامة محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الشهير بابن مرزوق الحفيد التلمساني. وتوجد منه نسخة «مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1783». قال عنه الكتاني في فهرسته الأستاذ الحافظ النظار المحدث المولود سنة 766 والمتوفى بتلمسان عام 842 انظر: الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات تحقيق إحسان عباس دار الغرب الإسلامي 1982 ج 1 ص524 – 525. وللمزيد من الإيضاح عن ابن الحفيد أنظر ترجمته في «الضوء اللامع» للسخاوي ج 7، ص ،5 و«النيل» للتنبكتي 293 والبستان لابن مريم 201 ونفح الطيب للمقري ج5 ص 420 والتكملة ج 2 ص 345 و«تعريف الخلف» للحفناوي ج،1 ص 134.

نسبة، ويُنال المقصود منه بأقل رتبة، وكان سيدي يوسف ورعا زاهدا في الدنيا، مُعْرِضا عنها، مقْبلا على الطلعة، سالم الصدر، حسن الخلق، متبسّما في وجه من رآه، حسن العشرة، كريم الطبع، كثير البكاء، خوفا من الله تعالى، سيما في الصلاة.

أخبرني والدي أنه شاهد من بكائه في الصلاة أمرا عظيما، وكانت حرفته تعليم القرآن للأولاد في المكتب، وله كرامات منها ما حدثني به شيخنا ولده محمد قال: حدثني أبي أنه مرّ في صحراء، فأدركه الليل بمقابر، قال: فقلت في نفسي أبيت في هذه المقابر، فإذا بقبر فتح فخرج منه رجل، وجلس على قبره، ثم قبر كذلك، ثم آخر كذلك، فسلّم بعضهم على بعض، فقال بعضهم لبعض: يا فلان أتدري كم قتلت أنا من العدو قتلت كذا وكذا، فأجابه الآخر، قال: وأنا قتلت كذا وكذا، وبقوا يتفاخرون بذلك، فعلمت أنهم شهداء أحياء، وبقوا على ذلك إلى طلوع الفجر، فرجع كل إلى قبره، وانسدّ عليه قبره. ومنها أن ابنته عائشة، وكانت صالحة ماتت قبل أبيها يوسف، فكان يكثر زيارتها بعد موتها، فربما يأتي لقبرها، فيُفتح له قبرها، فيراها ويكلمها، أو تتصور له على صورة الطير، فيراها على أغصان الشجر، ورآها مرة فأخبرته بقرب أجله، وأمرته بالجدّ في الطاعة وفعل الخير، فلازم الطاعة حتى لحق بها عن قرب رحمهما الله تعالى. وله كرامات كثيرة.

ومنهم الشيخ العالم المحقق الزاهد العابد الولي الصالح الورع الناصح نصر الزواوي[1] من أكابر تلاميذ الإمام ابن مرزوق[2]، قرأ عليه الشيخ كثيرا، ومن العربية، ولازمه كثيرا، وحدث عنه أنه كان كثيرا ينهي عن

---

1. الشيخ العلامة نصر الزواوي. أنظر ابن مريم، «البستان»، ص 295.
2. تقدّم ذكره.

إعطاء العلم لغير أهله، [04] ويقول : يجئ كثير إلى العالم يسأله عن مسألة على وجه يرى من نفسه أنه عارف بها، ويقصد سرقة الجواب، فإذا أجابه العالم أنكر الجواب، وربما يقول له إنه غير صحيح أو هو ضعيف، ثم إذا سئل المتعنت في المسالة أجاب بعين الجواب الذي أنكره على العالم، فيحرم إجابة المُعنت[1] لئلا يعطي الحكمة غير أهلها، وكان شيخنا السّنوسي رحمه الله يؤكد علينا الوصية في ذلك بمثل ما يؤكدها شيخه المذكور، وأشدّه في المعنى، وإذا جلست إلى الرجال وأشرقت البيتين. فقال لي هذا الذي كان سيدي نصّر[2] ينهانا عنه ويحذرنا منه، قال ومن هذا المعنى ينبغي للمدرس إذا فهم من حال جلسائه الملل والسآمة أن يقوم عنهم، ولا يعلمهم إلا في وقف نشاطهم. قال: وكان سيدي نصر ينهانا عن كتابة القرآن العزيز في الحروز[3] التي تساق إلينا. وسببه أنه مرّ يوما بمزبلة فإذا بكاغد مطوي ملقى على المزبلة . قال: فرفعته ونظرته، فإذا خُطي فيه آيات من القرآن، فحملته في جيبي، وعاهدت الله ألاّ أكتب قرآنا في حجاب. فقال شيخنا: نوصيك ألا تكتب القرآن في الحجاب لأن كثيرا لا يتحفظ عليها لاسيما النساء.

ومنهم الشيخ الإمام العالم العلم المشارك المحصّل الورع الصالح محمد بن قاسم بن تومرت[4]، قرأ عليه الشيخ في صغره جملة من الفرائض

---

1. من عنِت واسم فاعله مُعنت، أي صاحب أذيّة وتقال للعظم المجبور إذا أصابه كسر فهاضه أي أعنته،أنظر: ابن المنظور، أبا الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري، «لسان العرب». دار صادر، بيروت 1997، مج 4، ص 438.
2. نصر الزواوي، تقدّم ذكره.
3. جمع حرز، أي الموقع الحصين: ابن منظور، مرجع سابق، ج 2، ص 58. وكل ذلك للدلالة على ما يحمي ويحفظ من الكتب التي يعلقها الناس وبها آيات من القرآن أو غيرها.
4. محمد بن قاسم بن تومرت، أنظر ابن مريم «البستان»، ص 237.

والحساب وقال: إنه كان شيخا صالحا عالما بالمنقول والمعقول والتنجيم والحساب والفرائض والأوقاف والخطِ والهندسة وبكل علم. قال: ما رأيته قطّ نظر في كتاب إلا مرة واحدة أُشكلت عليه مسألة هندسية فنظر فيها كتبا كثيرة أياما، فلم يجدها. فقال: هكذا تتعب نفسي في المطالعة، فتركها وتدبّر المسألة بعقله حتى أتقنها. قال شيخنا: وكان حسن الأخلاق سليم الصدر ويقول لكل من جاءه للقراءة: اقرأ في أي علم شئت، وليس له طعام مخصوص، إنما يأكل من طعام مخلوط بطعام السُعاة من الدينار. وكنت أحضره مع شبان لهم فهمٌ ثاقب في الفرائض، فبنفس ما يشير عليهم بشيء فهموه وحصّلوه، وأنا لا أفهم شيئا فتخلفت عن مجلسه أياما، ثم جئته، ووجدته وحده فقال: تغيب عنّا، فقلت: يا سيدي أنا لا أعرف شيئا ولا أفهم شيئا، فقال لي: إذا أردت القراءة تأتيني وحدك بعد العشاء. فكنت إذا صليت المغرب، رفعت عشاء لي إلى الشيخ، فيأكل منها حتى يكتفي؛ فإذا صلينا [05] العشاء، يقول لي: اقرأ، فقرأت عليْه جملة من الحساب والفرائض، ولازمته كثيرا، وكنت أقرأ عليه جلّ الليل، ولم أره يرقد إلا في بعض الليالي ينام وهو مستند.

ومنهم الشيخ العالم الأجلّ الصالح البركة أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي الشهير بالقلصادي[1] رحمه الله، كان عالما فاضلا

1. هو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي القلصادي، البسطي أنظر ترجمته في:
- السخاوي، «الضوء اللامع» ج 6 ص 14 والمقّري، نفح الطيب ج 2 ص 45 والتنبكتي «النيل» ص 209 والكتاني، «فهرس الفهارس» ج 2 ص 314؛
-كحالة «معجم المؤلفين» ح 7 ص 230.
من مؤلفاته «تمهيد الطالب والراغب إلى أعلى المنازل والمناقب» مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 1920 وفي إليان سركيس الدمشقي «معجم المطبوعات العربية والمعرّبة»، دار صادر،بيروت، 1923، ج 2، ص 1521.

صالحا، شريف الأخلاق سالم الصدر، وله تواليف أكثرها في الحساب والفرائض، منها شرح عجيب على تلخيص ابن البناء[1] وشرح عجيب على الحوفي[2] انتفع عليه خلق كثير. قرأ عليه الشيخ جملة من الفرائض والحساب، وأجازه جميع ما يرويه عنه.

قلت: ولمّا قدم من الأندلس إلى تلمسان، استقر عند سيدي محمد بن مرزوق حفظه الله تعالى، فقرأ عليه الجمّ[3] الغفير من الناس، وقرأت أنا عليه تأليفه في العربية، ورأيت مكتوبا بخطه رحمه الله ما نصه: سمعت شيخنا وبركتنا الفقيه المتفنن أبا العباس أحمد بن محمد بن زاغو[4] حفظه الله يحكي عن شيخه السيد المُربي عبد الرحمن بن البناء[5] عن شيخه البُلّالي[6] رضي الله عنه، أنه قال: من يقول هذا الذكر، فإنه أمان للإقليم الذي يُذكر فيه، وهو: اللّهم لك الحمد بكل

---

1. أحمد بن محمد الأزدي المراكشي، ابن البناء المتوفى 654 سنة هـ عالم رياضيات وحساب له «تلخيص الحساب». ويوجد منه مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقمه 2147 د/ 2.

2. لعلّه النحوي والمفسر علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي نسبة ناحية الرقية بمصر ويسمى أهلها الحوف، المتوفى سنة 430 هجري، من تصانيفه: «الموضح في النحو» و«البرهان في تفسير القرآن» و«الإرشاد لطريق خير العباد والعُباد»، أنظر: الذهبي، «سر أعلام النبلاء»، ج 11 ص 115.

3. جمّ أي الكثير.

4. هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عوف، التلمساني المغراوي، المعروف بابن زاغو، المتوفى سنة 845 هـ أخذ عن السعيد العقباني وأبي يحي الشريف التلمساني المفسر، فقيه ومفسر مالكي، أخذ عنه الكثير كالقلصادي، من مؤلفاته «مقدمة في التفسير» و«تفسير الفاتحة» و«منتهي التوضيح»، أنظر بن مخلوف «شجرة النور الزكية» ج1 ص 254 «النيل»، ص 118 وكحالة «معجم المؤلفين»، ج 2 ص 116.

5. عبد الرحمن بن البنّاء، تقدم ذكره.

6. البلالي، محمد بن علب بن جعفر، شمس الدين، المتوفى سنة 820 هـ، فقيه شافعي ومتصوف من بلال بمصر، له السؤل في شيء من أحاديث الرسول. أنظر الزركلي، مج 6، ص 287. والشذرات مج 7، ص 45.

شيء تُحب أن تُحمد به على كل شيء تحب أن تُحمد عليه، اللهم لك الشكر بكل شيء تحب أن تشكر به على كل شيء تحب أن تشكر عليه؛ حمدا وشكرا دائمين بدوامنا عدد ما علمت، وزنة ما علمت، وملء ما علمت، ومداد كلماتك، فأضعاف أضعاف ذلك، اللهم لك الحمد ولك الشكر بكل ذلك على كل ذلك كذلك؛ انتهى. يقال مائة مرة انتهى. من خطه. وتوفي رحمه الله بباجة[1] من أحواز تونس منتصف ذي حجة عام أحد وتسعين وثمانمائة.

ومنهم الشيخ الفقيه الوجيه النزيه العالم العامل الأستاذ المحقق المقرئ أبو الحجاج يوسف[2] بن الشيخ الأجل الصالح الأنسب أبي العباس أحمد بن محمد الشريف الحسني، قرأ عليه الشيخ القرآن بالسبعة ختمتين، وقدرا صالحا من الثالثة، وأجازه فيها وفي غيرها من سائر روايته إجازة عامة مطلقة.

ومنهم الشيخ الفقيه العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي شهر بالجلاّب[3]. كان الشيخ يقول عنه: «إنه حافظ لمسائل الفقه، وذكر لي كثير من الفقهاء أن الشيخ كان يقرأ عليه «المدونة».[4] وذكر لي بعض الطلبة أنه ختمها عليه مرتين.

---

1. مدينة باجة بالقطر التونسي.
2. أنظر ابن مريم، البستان، ص 304.
3. شهر بالجلاّب والتلمساني،توفي في 875 هـ أنظر إبن مريم «البستان»، ص 237.
4. هي المدونة الكبرى وهي مجموعة من الأسئلة والأجوبة تتعلق بمسائل فقهية وردت الإمام مالك رضي الله عنه ورواها العلامة أبو سعيد، عبد السلام بن حبيب بن حسان بن هلال التنوخي المعروف بسحنون والمتوفى سنة 854 هـ. قاضي القيروان وصاحب المدونة التي صارت أصل الفقه المالكي بحيث لا يعتمد على غيرها فيه. وتأتي في الدرجة الثانية بعد الموطأ للإمام مالك. توفى سنة 240 هـ.

ومنهم الشيخ العالم الأجل [06] الصالح المعدل أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحبّاك[1]. قرأ عليه الشيخ كثيرا من علم الإسطرلاب، وشرح أرجوزته فيه المسماة «بغية الطلاب في علم الإسطرلاب»[2]، ونقل عنه فيه أشياء من فوائد هذا العلم.

ومنهم الشيخ الإمام العالم العلم الحافظ المحصل المتقن الصالح البركة أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي[3]، قرأ عليه الشيخ شيئا من علم الأصول و«جمل الخونجي»[4]، ولم يطل مدة قراءته عليه، وسببه أنه كان يورد على ابن العباس وقت قراءته عليه أسئلة وأجوبة لم توجد في الكتب، فتعجب منه ابن العباس، ومن حسن جوابه، فلما رأى ذلك منه، قال له : لا تقرأ علي أنت الذي يقرأ علينا، فدعا له ومضى. وله تواليف منها «شرح لامية الأفعال»[5] وشرح جمل الخونجي و«العروة الوثقى في تنزيه الأنبياء عن فرية الإلغاء»[6]، وتوفي بالطاعون آخر عام إحدى وتسعين وثمانمائة.

ومنهم الشيخ الفقيه الحافظ المتقن العالم المتفنن الصالح البركة شيخنا أبو الحسن علي بن محمد التالوتي الأنصاري[7]، أخو الشيخ

---

1. الحبّاك التلمساني الموفى سنة 867 هـ، فقيه وعالم فلك وفرضي، من مؤلفاته: «بغية الطلاب في علم الإسطرلاب»، و«شرح تلخيص ابن البناء»، و«شرح على التلمسانية في الفرائض» أنظر «البستان»، ص 219 و220 والتنبكتي،«النيل»، ص 316.
2. آلة تستعمل في علم الفلك تشكل ميزانا للشمس والكواكب.
3. شهر بابن العباس التلمساني، توفي سنة 866 هـ، أنظر ابن مريم «البستان»، ص 223.
4. أي «شرح الجمل» للخونجي سيرد ذكره لاحقا.
5. أو «تحقيق المقال، وتسهيل المنال في شرح لامية الأفعال».
6. وهي في الحقيقة «تنزيه الأنبياء عن فرية الإلقاء».
7. وردت التالوتي ونجدها أحيانا الثالوتي، ترجمته في ابن مريم، «البستان»، ص 139 .

لأمه، كان محققا متقنا حافظا، يحفظ كتاب ابن الحاجب، ويستحضره بين عينيه، قلّ أن ترى مثله حافظا. حدثني أنه أقرأ أخاه محمد السّنوسي «الرسالة» في صغره، وكان من أكابر تلاميذ الحسن أبركان، وما رأيته قط مشتغلا بما لا يعنيه، بل ذاكرا أو قارئا القرآن، أو مشتغلا بمطالعة الكتب وتعاهُد[1] محفوظاته كالرسالة وابن الحاجب والتسهيل لابن مالك وغيرها.

وقرأت عليه أنا ابن الحاجب[2] إلى صلاة التطوع قراءة بحث وتحقيق، وحين وصلت إلى قوله في التيمّم، وكذلك الحاضر الصحيح يخشى فوات الوقت على المشهور. وفسره، قال: ما الفرق بين هذه وبين قوله الثاني ما يتنزل منزلة عدمه كعدم الآلة فإن وجدها ولكن يذهب الوقت، أو لاستعماله تيمم، فقوله أو لاستعماله يدخل في قوله أولا وكذلك الحاضر الصحيح الخ. أي فيتيمم ثم أجاب بأن مسألة الحاضر الصحيح محمولة على عدم الماء، فإذا اشتغل... طلبه خرج الوقت. فهذا معنى قوله خشي فوات الوقت أي باشتغاله بطلب الماء. والثانية: محمولة على وجود الماء، ولكن إن اشتغل باستعماله خرج الوقت، فهذا معنى أو لاستعماله تيمم فهكذا ينبغي أن يفهم هذا المحل. انتهى تقريره رحمه الله تعالى. وقال في تقرير قوله: ولو سجد الإمام [07] واحدة وقام، فلا يُتبع ويسبّح به لعلّه يرجع إليهم ويجبر الركعة. فإن خيف عقد الركعة الثانية إلى قوله كإمام، قعد في ثالثة معناه إذا أخل الإمام في سجدة من الركعة الأولى من الرباعية، وقام إلى الثانية في اعتقاده، فلا يتبع وليسبّح به لعله يرجع إليهم، ويجبر

---

1. أي مراجعتها.

2. هل يتعلق الأمر بالشيخ عمر بن عثمان بن الحاجب صاحب كتاب الأمالي الذي عرف بآمالي بن الحاجب، وقد حققه الدكتور فخر صالح سليمان قدارة من منشورات دار الجيل.

الركعة، فإن خيف عقده الركعة الثانية في زعمه، قاموا واتبعوه، وكانت هذه الركعة المتبع فيها ثانية في زعمه، وأولى في حقهم، ثم هل يتبعونه في الجلوس أم لا، بيّنه بقوله: فإذا جلس قاموا أي إذا جلس الإمام في هذه الركعة الثانية على زعمه، فإنهم يقومون ينتظرون قيامه إليهم، ولا يتبعونه في جلوسه؛ إذَ: ليس محلّ جلوس، لأنه صار كإمام جلس في الأولى، فإذا تم الإمام تشهده، وقام للثالثة في زعمه صلّوا معه تلك الركعة، وصارت ثانيتهم ثم هل يجلسون لأنه محل جلوسهم بينه، بقوله: فإذا قام إلى الثالثة قاموا كإمام قام من اثنتين، يعني إذا قام إلى الركعة الثالثة في حقهم، وهي الركعة الرابعة في زعمه قاموا واتّبعوه، ولا يجلسون كإمام قام من اثنتين، إذ حكم المأموم إتّباع الإمام، إذا قام من اثنتين، ثم هل يجلسون معه في هذه الركعة التي هي رابعة في زعمه بيّنه بقوله: فإذا جلس قاموا كإمام قعد في ثالثة وبهذا التقرير يندفع قول التوضيح، إن معنى قول المصنف: قاموا من قوله: فإذا قام إلى الثالثة قاموا أي استمروا، ففيه تجوّز توهمنا منه أن الثالثة من قول المصنف، فإذا قام إلى الثالثة قاموا بالنسبة إلى ظن الإمام وليس كذلك، بل مراده التنبيه على إتباع المأموم الإمام إذا قام إلى الثالثة في الحقيقة، والرابعة في زعمه، وإن كان محلّ جلوسهم، وأما حكم الثالثة بالنسبة إليه، فبيّنه المصنف بقوله قبل، فإذا جلس قاموا، وظاهره أنه إذا أتم تشهده يقوم فيصلي بهم الرابعة التي قاموا إليها كما قرّرناه قبل، ففي كلام التوضيح نظر من وجهين:

أحدهما: حمل كلامه على المجاز، ولا ضرورة تدعو إليه.

الثاني: كون المصنف لم ينص على حكم ما، إذا قام للثالثة بالنسبة إليهم، هل يتبعونه في القيام أو يجلسون إذ هو محل جلوسهم، وهو ظاهر لمن تأمل وأنصف.

وسألته هل تبطل الصلاة بجعل الأداء مكان القضاء وعكسه، فقال فيه قولان بالبطلان وعدمه، حكاهما خليل[1] في مسألة الأسير، الْتَبَست عليه الشهور في كتاب الصيام [08].

وسألته هل تجوز صلاة الوتر جالسا، فقال فيه قولان بالجواز وعدمه، وكان أخوه سيدي محمد السّنوسي يقول: يؤخذ من قول المدونة[2]، ويصلي في السفر الذي تقصر في مثله الصلاة على دابته أينما توجهت به الوتر الخ . إنه يصلي الوتر على الأرض جالسا بلا ضرورة لأن الفرض لا يقع على الدابة، والنقل يجوز عليها، فلما ألحق الوتر بالنقل في صلاته على الدابة، وكذلك على الأرض وهو حسن. انتهى.

يقول مختصره أحمد باب: وفي حفظي أن هذا الأخذ ذكره ابن ناجي[3] في شرح المدونة والله أعلم.

سألته أيضا عن وضع الكتاب على الأرض هل يجوز، فقال : حكا شيخنا الحسن أبركان فيه قولين لمتأخري البجائيين والتونسيين جوازا وعدما، وسألته عن مستند الناس فيما جرت به عادتهم أن الرجل لا يأخذ المقص من صاحبه بل يضعه على الأرض الخ يأخذه الآخر.[4] فقال: سألت شيخنا سيدي الحسن أبركان عنه، فقال: هكذا رأيت شيوخنا يفعلون، فاقتدينا بهم. انتهى.

---

1. الإمام خليل المالكي ابن إسحاق المالكي المتوفى سنة 776 هـ أنظر: ابن مخلوف «شجرة النور»، ص 321.

2. المدونة ورد ذكرها آنفا.

3. هو أبو الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي المتوفى سنة 837 هـ من فقهاء المالكية ولي القضاء بالقيروان وأخذ على بن عرفة ويعقوب الزغبي من تصانيف «شرح المدوّنة» و«زيادات على معالم الإيمان» للدباغ و«الشافي في الفقه» و«شرح رسالة بن أبي زيد القيرواني» و«مشارق أنوار القلوب» أنظر التنبكتي في «النيل»ص 223 والزركلي في «الأعلام» مج 6 ص 13.

4. وذلك فيه تشديد على عدم مقابلة الناس بالآلات الحادّة ولو على سبيل إعطائها إياهم للانتفاع بها فما بالك بشهر السلاح أو غيرة من عمل التهديد.

ثم قال سيدي علي: ولعله علم نُسي، ورأيت بخطّه أيضا عن بعض الصالحين من نزل منزلا، وجمع أثقاله: وخط على حواليها خطا، وهو في داخل الخط، ويقول في داخل الخط ثلاثا: الله الله الله، وفي لا شريك له لم يضره لص ولا عدو ولا غيره، ويكون هو وأثقاله في حرز الله، وهو مجرب. ولبعضهم في إنجاح المهمات، وتسهيل الأمور يقوله كل يوم ثلاثاء:

يا رب هيئ لنا من أمرنا رشدا
واجعل معونتك الحسنى لنا مددا
ولا تَكِلْنا إلى تدبير أنفسنا
فالنفس تعجز عن إصلاح ما فسدا
أنت الكريم وقد وجهتُ يا صمدٌ
إلى جنابك وجها سائلا ويدا
وللرجاء ثواب أنت تعلمه
فاجعل ثوابي دوام الستر لي أبدا

وهو مجرب بنصّه، وكان رضي الله عنه، إذا عطس كثيرا ما يقول: الحمد لله على كل حال ما كان من حال وصلّى الله على محمد وعلى أهل بيته. ويقول: ثوابه عظيم لمن يقوله عند العُطاس، وأشار به إلى ما ذكره ابن هشام القرطبي في كتاب سماه «الملاذ والاعتصام في فضل الصلاة ﷺ»[1]: عن ابن عباس مرفوعا من عطس، فقال: الحمد لله الخ أخرج الله من منخره الأسر طائرا أكبر من الذباب وأصغر من الجراد يرفرف تحت العرش، فيقول: اللهم اغفر لقائلي. انتهى.

---

1. لن يكون سوى، الملاذ والاعتصام في كيفية الصلاة على سيدنا محمد خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام لأبي محمد جبير بن محمد القرطبي المالكي ورد في «اللآلي السندسية»، ابن هشام القرطبي. أنظر: البغدادي، إيضاح المكنون، مج 2، ص 497.

فائدة: كان شيخنا [09] عليٌ كثيرا ما يطالع كتابي «السهو والتنبيه» لسيدي محمد الهواري[1] في كل يوم، ورأيت بخطه ما نصه: قد ضمن مؤلفه رحمه الله لكل من قرأ سهوه واعتنى به أن لا يجوع ولا يعرى ولا يعطش، وأنه ضامنه في الدنيا والآخرة. كذا نص عليه في التنبيه الذي جعله في فضل السهو، وسمعناه من سيدي إبراهيم التازي.

ورأيناه يختم «السهو»[2] بالنظر في كل يوم للتبرّك غير ما مرة انتهى. وذكر أيضا أن هذا السهو جعله المؤلف للأولاد، ولم يتعرض لوزن شعر ولا عربية، فإياك والاعتراض تأمل واقرأ تنتفع، كذا سمعناه من سيدي إبراهيم التازي، وتوفي سيدي علي رحمه الله في صفر عام خمسة وتسعين وثمانمائة. وقد كان أخوه الشيخ السّنوسي رأى في منامه قبل موته دارا عظيمة قد ملئت بالفرش المرتفعة. قيل له إنها لأخيه علي يدخل فيها عروسا في رؤيا عظيمة رحمهم الله تعالى.

ومنهم أي أشياخ سيدي السّنوسي، الشيخ الإمام العالم العلم الولي الصالح القطب الغوث الشهير الكبير الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي الراشدي شهر بأبركان.[3] كان الشيخ يحضر مجلسه كثيرا وانتفع، وكان يقول: رأيت المشايخ والأولياء، فما رأيت مثل سيدي الحسن أبركان رحمه الله. كان لا يخاف في الله لومة لائم ولا يضحك إلا تبسّما. وكان الشيخ السّنوسي إذا دخل عليه تبسم له، وفاتحه بالكلام،

1. هو محمد بن عمر الهواري الوهراني، العابد الزاهد السائح، المتوفى سنة 843 هـ أخذ العلم ببجاية عن محمد بن إدريس وعبد الرحمن الوغليسي، لقي علماء كبار مثل العراقي ولي الدين من آثاره «السهو والتنبيه»، أنظر الحفناوي، «تعريف الخلف برجال السلف»، ص 170 – 171 – 172.

2. أي كتاب السهو والتنبيه.

3. هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان المزيلي الراشدي، المتوفى سنة 868 هـ أنظر «ابن مريم في «البستان»، ص 220.

ثم يقول له: جعلك الله من الأئمة المتقين، ذكره لنا أخوه سيدي علي، وقد حقق الله فراسته ودعوته فيه، ولسيدي الحسن مكاشفات كثيرة، وكرامات منها ما ذكره الشيخ وأخوه علي، قالا: كان يتوضأ في الصحراء يوما، فإذا بأسد عظيم قد أقبل، فبرك على بساطه، فلما فرغ من وضوئه، التفت إلى الأسد، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين ثلاثا [1]، فأطرق الأسد برأسه إلى الأرض كالمستحيي، ثم قام ومضى.

ومنها ما ذكره الشيخ وكتب به إلى سيدي محمد بن صعْد[2] حفظه الله، قال: حدثني الولي العلامة سيدي محمد سعيد بن عبد الحميد العصنوني[3] بمنزله من وانشريس[4]، وكان من أفاضل أصحاب

---

1. وذلك لعدم مفارقة الحق لذهنه وعدم مفارقته هو له فغلب عليه وجوب التعظيم والتأمل في بدائع خلقه على لواعج النفس ومخاوفها فلم يكترث بما يحيط به من خطب ورأى فيه آيات من إبداع الخالق.

2. هو أبو الفضل، محمد بن صعد التلمساني المتوفى سنة 901 هـ من كبار تلاميذ محمد بن يوسف السنوسي من تصانيفه: «النجم الثاقب فيما للأولياء من المناقب» (منه مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقمه 1292 ك) و«روض النسرين في مناقب الأربعة الصالحين» وهذا الأخير يعني بمناقب أربعة صلحاء هم: محمد الهواري وإبراهيم التازي وأحمد بن الحسن الغماري والحسن أبركان. أنظر الحفناوي في «البستان» ص 147. وقد حقق الكتاب على يد الدكتور يحيى بوعزيز ونشر سنة 2004 من قبل الوكالة الوطنية للنشر والإشهار بالجزائر.

3. العصنوني، عبد الرحمن بن عيسى المغيلي، صاحب «شرح العصنوني المغيلي على التلمسانية» في الفقه، وهو مازال في شكل مخطوط لم يحقق (منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2/ 149) ويشكل شرحا للمنظومة المسماة «تبصرة البادي وتذكرة الشادي» أو «الأرجوزة التلمسانية» لصاحبها أبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر التلمساني نزيل سبته المتوفى سنة 679 هـ. والعصنوني هو من شيوخ نصر الزواوي، أحد أساتذة السنوسي انظر، عادل نويهض، في موسوعة أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية بيرون 1983، ص 92 وكحالة في «معجم المؤلفين» ج 2، ص 126، وبروكلمان في تاريخ الأدب العربي، ج 7 ص 456.

4. منها العلامة الجزائري الكبير أبي العباس أحمد بن يحي الونشريس صاحب «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس المغرب» كان قد أخرجه الدكتور أحمد حجي وآخرون ونشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية سنة 1981.

الشيخ القدماء قال: دخلت في يوم حار وقت الزوال على سيدي الحسن، فوجدته في تعب عظيم، والعرق يسيل عليه، فقال: أتدري مم هذا التعب الذي أنا فيه. قلت: لا يا سيدي، فقال: إني كنت آنفا جالسا بهذا الموضع، فدخل [10] عليّ الشيطانُ في صورته التي هو عليها، فقمت إليه، فهرب أمامي، فتتبعته، وأنا أذكر كلمات الآذان، فما زال يهرب بين يدي، وله ظُراط كما ذكر في الحديث، إلى أن دخل في القادوس الذي يخرج منه الماء في القصارين، وغاب عني، والآن رجعت من إتباعه[1].

يقول مختصره أحمد باب: وهذه القصة قد ذكرها السّنوسي أيضا في شرحه على مسلم، ومنها ما ذكره الشيخ، قال: لمّا قدم سيدي الحسن أبركان من المشرق وجد قرية الجمعة[2] قد خربت، وكانت سكنى أسلافه، فنزل تلمسان، ثم تردد خاطره في الرجوع لقرية الجمعة لتجديد ما دثر منها. قال: فخرجت إليها، وجلست معتبرا في آثارها، كيف أخذها الخراب واستولى على أهلها الجلاء، وإذا بكلب أقبل وجلس بالقرب مني، وحاله في انكسار الخاطر وتَغَيُّر الظاهر كحالي فقلت في نفسي هل تعود هذه القرية عامرة أم لا، فرفع الكلب رأسه وقال لي بلسان فصيح: إلى يوم يبعثون، أي لا تعود عامرة أبدا، فلما سمعت نطقه إلي بذلك رجعت لتلمسان.

وبالجملة، فكراماته ومكاشفاته كثيرة، ذكر منها سيدي محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن صعْد حفظه الله جملة كافية في كتابه: «روضة

أنظر عن الوانشريس أيضا: محمد بن عمرو طمار، «تلمسان عبر العصور دورها في سياسة حضارة الجزائر» المؤسسة الوطنية للفنون الطباعة 1984 ص 226.

1. أي ملاحقته.

2. تكون قد اندثرت.

النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين»[1] وتوفي رحمه الله آخر شوال سنة سبع وخمسين وثمانمائة.

ومنهم الشيخ الإمام العالم الورع الصالح أبو القاسم الكنابشي[2] قرأ عليه الشيخ وأخوه سيدي علي التالوتي «الإرشاد» لأبي المعالي[3] وأجازهما مروياته، وكتبها بخطه. وذكرت لي السيدة الفاضلة الخيرة عائشة زوجة الشيخ أن سيدي أبا القاسم الكنابشي أقام شهرا كاملا عند الشيخ في داره يقرئه كتابا في التوحيد حتى ختمه عليه.

ومنهم الإمام حجة الإسلام العالم العامل الزاهد الورع الولي الصالح الناصح، أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي[4]، قرأ عليه الشيخ صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث، وأجازه وأخاه سيدي علي فهرسته وجميع ما يجوز له وكتبها بخطه. وكان سيدي الثعالبي زاهدا معرضا عن الدنيا وأهلها، وله تواليف عديدة منها: فهرسته المسماة بـ: «غنية الوافد وبغية الطالب الماجد»[5]، تتضمن ما فيها من الأسانيد والفوائد و«الجواهر الحسان في تفسير القرآن»[6]، وذيّله

---

1. أنظر: كحالة في «» مج 8، ص 308 وابن سوده في دليل مؤرخ المغرب، ج 2، ص 333. والكتاب قد حققه الدكتور يحي بوعزيز سنة 2004.

2. هو أبو القاسم الكنابشي ترجمته في «البستان»، ص 152.

3. ربما كتاب «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» لأبي المعالي،ضياء الدين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني إمام الحرمين المتوفى سنة 478 هـ حققه عبد الحميد منعم مكتبة الخانجي مصر القاهرة 1950 ثم حققه تميم أسعد ونشرته مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان 1985.

4. هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المالكي المتوفى سنة 875 هـ مفسر وفقيه ومتكلم أنظر. الضوء اللامع مج 4 ص 152 والنيل ص 173 والباباني في الهدية ج 1 ص 53. وإليان سركيس معجم المطبوعات العربية والمعربة ص 661.

5. منه مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقمه ك.1387.

6. قامت مؤسسة الأعلمي اللبنانية بنشر هذا الكتاب في أربعة أجزاء. منه مخطوطان بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك.2117 وك.2610.

بجزء فيه المرائي[1] الدالة على بركته، و«روضة [11] الأنوار ونزهة الأخيار في معجزة النبي المختار ﷺ»[2]، و«الأنوار المضيئة الجامع بين الشريعة والحقيقة»[3] و«رياض الصالحين»[4] و«التقاط الدرر»[5] و«الدّر الفائق»[6] المشتمل على أنواع الخيرات في الأذكار والدعوات، و«العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة»[7] و«شرح ابن الحاجب الفرعي»[8] و«الجامع الكبير»[9] الملحق به، و«إرشاد السالك».[10] قال: وهو أصغرها جرما، و«الأربعون المختارة»[11]، و«المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع»[12]، و«جامع الفوائد»[13]، و«جامع

---

1. أي الرؤى أو المنامات وهو مخطوط يتعلق برؤية للشيخ الثعالبي يتكون من 16 ورقة يوجد بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 1546. ونسخة أخرى بالخزانة العامة بالرباط رقمها ك.2622. طبعته المطبعة الثعالبية بالجزائر سنة 1928

2. مخطوط «ج 1 رقم 884» المكتبة الوطنية الجزائرية. ونسخ أخرى بالخزانة العامة بالرباط مخطوط رقم583 D ومخطوط رقم 892 D.

3. منه مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقمه 1602 D.

4. يعني به «رياض الصالحين وتحفة المتقين» مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقمه 883 ونسخة أخرى بالخزانة العامة بالرباط رقمها 2605.ك.

5. منه مخطوط بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر رقمه 425.

6. مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقمه 2780.

7. العلوم الفاخرة في النظر إلى أمور الآخرة، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقمه 1450 تم طبعه بالمكتبة الحامدية مصر 1904 م.

8. منه مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقمه ك.727.

9. لم نوفق في العثور على مرجع بشير إليه.

10. إرشاد السالك.

11. منه مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقمه 538 وهو مبتور. قدمها وعلق عليه محمد بن تاونيت الطنجي طبعة دون تاريخ ولا اسم الناشر.

12. من نشر المطبعة الثعالبية بالجزائر سنة 1324 ه وهو في الحقيقية شرح أبي الحسن المعروف بابن بري

13. ذكره ابن ميمون، درة الحجال في أسماء الرجال ج 3، ص 89.

الأمهات في أحكام العبادات»[1]، و«النصائح»[2]. هذا جملة ما ذكره في الفهرسة من تواليفه. ورأيت بخط بعض العلماء الفضلاء أنه بخط الثعالبي في إجازة عدّ فيها تآليفه، وزاد «تحفة الإخوان بالتبرك بإعراب بعض آي القرآن»[3]، و«الذهب الإبريز في الغريب وأغربها بعض آيات القرآن العزيز».[4]

يقول مختصره أحمد باب وفقه الله تعالى: وقد وقفت على هذين الأخيرين ببلدة تنبكت، وعلى كثير مما تقدم ذكره، والله أعلم.

رجع: وقد ذكر سيدي عثمان بن سليمان في شرحه لقصيدة علي الحوثي[5] التي أولها:

كأن الناس قبل اليوم ناس

ونعم الناس اليوم صاروا داء ووسواس

ما نصه: أنشدت شيخنا الإمام العلامة أبو زيد الثعالبي لنفسه هذين البيتين، قال: أنشدتهما وأنا صغير، لم أبلغ في السن عشرين سنة، وأجازينها رواية، وذلك يوم الأحد رابع شهر شعبان عام ثلاثة وسبعين وثمانمائة وهما:

---

1. هو في الحقيقة جامع المهمات كحالة مج 5، ص 192 و إليان سركيس، معجم المطبوعات العرب والمعرية ص 661 وإيضاح المكنون، للبغدادي، ص 359.
2. لم نوفق في التعرف عليه.
3. ورد له ذكرا في: الجيلالي، «تاريخ الجزائر العام، ج 2، ص 274، والباباني، في «الهدية»، ج 1، ص 532.
4. ورد له ذكرا في: البغدادي، «الهدية» ج 1، ص 532، الزركلي، الأعلام مج 4،ص 104.
5. هل يتعلق الأمر بإبراهيم بن عبد الله له «نفحات العنبر» أنظر: «كحالة» معجم الأعلام ج 1ص 25 والشوكاني «نيل الأوطار»، ج 1 ص17 أو الحسن الحوثي بن محمد أنظر: كحالة ح 3 ص 320 وله نظم الشافية في التصريف.

أضعت لَعَمري في البطالة أنفاسي
تمرُّ قليلا بانسلال ولا أدري

وهل نفس الإنسان إلا كجوهر
نفيس فيا لله ضيعت جوهري

ومنهم الشيخ الإمام العالم العلامة الورع الزاهد الصالح الولي الناصح سيدي إبراهيم بن محمد بن علي اللسنتي التازي[1] نزيل وهران[2]. لما قدم الشيخ وأخوه سيدي علي من الجزائر دخلا وهران، فجلس عند إبراهيم نحوا من خمسة وعشرين يوما، فالبسه الخرقة الشريفة، فحدثه بها عن شيخه الذي ألبسها له بالحرم الشريف الإمام المحدث العلامة الجليل شرف الدين أبي الفتح محمد بن الإمام زين الدين أبي بكر المراغي الشافعي[3]، وهو لبسها من شيخ شيوخ العارفين شرف الدين أبي المعروف إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الصمد

---

1. من صلحاء المغرب وعلمائه له شعر بديع مات سنة 66 أنظر السخاوي «الضوء اللامع» والمقّري في أزهار الرياض بأخبار القاضي عياض ج 1 ص 209. أثر عنه ابن عجيبة في «إيقاظ الهمم» مج 1، ص 70، قصيدة يقول في مطلعها:

كمال الله أكمل كل حسن — فلله الكمال ولا مماري
وحب الله أشرف كل أنس — فلا تنس التخلق بالوقار
وذكر الله مرهم كل جرح — وأنفع من زلال للأوار
ولا موجود إلا الله حق فدع — عنك التعلق بالفشار

أنظر: ابن عجيبة في «إيقاظ الهمم في شرح متن الحكم»، ج 1، ص 70.

2. من كبريات مدن الغرب الجزائري.

3. ترجمته في السخاوي، «الضوء اللامع»، ج 7، ص 162 لعله ما يذكره الزركلي بأنه أبو الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسن شرف الدين المراغي المتوفى سنة 859 هـ فقيه عارف بالحديث له تلخيص أبي الفتح لمقاصد الفتح أم قد يتعلق الأمر بابن المراغي محمد بن جعفر بن محمد الهمداني الوداعي المتوفى سنة 981 هـ وله «الاستدراك لما أغفله خليل» أنظر الزركلي، الأعلام مج 6، ص 71 ومج 6، ص 58، والبدر الطالع، ج 2، ص 146.

الهاشمي العقيلي الجبروتي الزبيدي[1] بها أول [12] شوال سنة خمس وثمانمائة بسنده إلى أبي مدين[2] رضي الله عنه.

وقال سيدي التازي: ولبستها أيضا من الشيخ العارف سيدي صالح بن محمد بن موسى الزواوي[3]، ولبسها الزواوي من الشيخ محمد بن مخلص بسنده أيضا إلى القطب الغوث أبي مدين شعيب المغربي الأندلسي بسنده فيها إلى النبي ﷺ.

وأخذ الشيخ أيضا من سيدي التازي حديث المصافحة عن شيخه صالح الزواوي بسنده فيها إلى رسول الله ﷺ، وكذا حديث المشابكة عن التازي، عن صالح الزواوي بسنده مع قول كل من روايته «شابكني»[4]، فمن شابكني دخل الجنة وحديث السبحة والضيافة،

---

1. هو إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي وليس الجبروتي كما أورد التنبكتي، المتوفى سنة 806 هـ كما ورد في الدرر الكامنة حيث قال بن حجر عنه: «سلك طريق الزهد وفُتن بابن عربي وله كرامات كثيرة»، أنظر/ ذيل الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الذيل لشهاب الدين لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ذيل الدرر الكامنة، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت، 1998، ص 90 - 91.

2. قال الشعراني: شهرته تغني عن تعريفه من أقواله الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق أنظر ترجمته الوافية في الشعراني «الطبقات»، ص 133 و134 .والتنبكتي في «النيل»، ص 172.

3. ربما هو سيدي صالح بن موسى بن محمد بن الشيخ محي الدين الحسني الزواوي المتوفى سنة 839 أنظر نويهض «معجم أعلام الجزائر» ص 116.

4. من الأحاديث المسلسلة يرويه العلامة محمد بن علي السنوسي أصيل مستغانم المتوفى سنة 1859م قال: وأما التسلسل بالمشابكة فارويه بالسند السابق إلى أبي سالم العياشي قائلا : شابكني شيخنا أبو مهدي عيسى الثعالبي السند المتقدم إلى سيدي إبراهيم التازي قال شابكني سيدي صالح الزواوي وقال شابكني فمن شابكني دخل الجنة وهو شابك عز الدين بن جماعة وهو شابك الشيخ محمد شيريز وهو شابك سعد الدين الزعفراني وهو شابك أبا بكر والشيخ ناصر الدين علي بن أبي بكر بن ذي النون المطلبي وهما شابكا محمد ابن إسحاق القونوني وهو الشيخ محي الدين بن عربي وهو احمد بن مسعود بن سنداد المغربي الموصلي وهو علي بن محمد الحايك الباهري وأبا الحسن الباغوزاوي قال رأيت رسول الله ﷺ في النوم فشبك أصابعه في أصابعي

كلاهما عن التازي، عن شيخه الإمام العلامة أبي الفتح ابن الحافظ زين الدين المراغي بسنده في السبحة إلى الحسن البصري[1]، وفي يده سبحة، فقلت: يا أستاذي مع عظم شأنك وحسن عبادتك، وأنت إلى الآن مع السبحة، فقال: هذا شيء كنا نستعمله في البدايات ما كنا نتركه في النهايات، أنا أحب أن أذكر الله بقلبي ويدي ولساني. قال الشيخ أبو الحسن أحمد بن أبي بكر الردّاد[2]: يتبين من قول الحسن البصري أن السبحة كانت موجودة متخذة في عهد الصحابة لقوله هذا شيء كنا استعملناه في البدايات ، وبداية الحسن بلا شك كانت مع الصحابة رضي الله عنهم، لأنه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه، ورأى عثمان وعلي وطلحة، وحضر يوم الدار، وعمره أربع عشرة سنة، وروى عن عثمان وعلي وخلق من الصحابة.

وأخذ الشيخ أيضا تلقين الذكر عن إبراهيم التازي، كما لقنه شيخه سيدي صالح رحمه الله بسنده المعروف له إلى رسول الله ﷺ، وأوصاه بتقوى الله العظيم، ولزوم طاعته، وأن يعود حق الخرقة الشريفة، وينزهها عن الامتهان، وأن يواظب عن ذكر الله في كل حين وأوان، وأفضله لا إله إلا الله، فإنها تجلو من القلب ما غشاه من الرأي[3]، وأوصاه باحترام

و(قال يا علي شابكني فمن شابكني دخل الجنة) وما زال يعد حتى وصل إلى سبعة فاستيقظت وأصابعي في أصابع رسول الله ﷺ وهكذا ينبغي لكل من شابك أحدا أن يقول له شابكني فمن شابكني دخل الجنة. أنظر :السنوسي محمد بن علي كتاب المسلسلات العشر في الأحاديث النبوية وزارة الإعلام والثقافة طرابلس ليبيا 1968، ص 12 و13.

1. أبو سعيد الحسن ابن أبي حسان يسار البصري، المتوفى سنة 110 هـ.

2. لعله الشيخ احمد بن أبي بكر بن نحمد السراج الشهير بالردّاد له «تلخيص القواعد الوفية في أصل حكم خرقة الصوفية» و«وسيلة الملهوف إلى الله تعالى ثم أهل المعروف أم هل يتعلق الأمر بالشيخ الرداد المتصوف المكي وله كتب منها موجبات الرحمة الذي وردت ترجمته في الضوء اللامع مج 1 ص 260.

3. قد يكون هناك خطأ في النسخ وأن الكلمة المناسبة هنا هي الران مثل ما ورد في قوله جلّ وعلى «بل ران على قلوبهم» و ليس الرأي.

المشايخ وخدمة الإخوان والتواضع للفقراء والرأفة بالمؤمنين، والشفقة على خلق الله أجمعين، وأن يذكر صبيحة كل يوم سبحان الله، وبحمده سبحان الله العظيم، استغفر الله، مائة مرة، ولا إله إلا الملك الحق المبين، مائة مرة. وقال: فإن ذلك غنى فقرك، وتيسُّر أمرك، وأن يقرأ كل يوم وكل ليلة أربع سور من القرآن، اقرأ باسم ربك، وإنا [13] أنزلناه، وإذا زلزلت، ولإيلاف قريش، فإن قرأتهن تدفع شر الباطن والظاهر، وقد جرب ونصّ عليه في فتح الغيب الشيخ عبد القادر[1]، وقال له شيخه: اقطع اليأس مما في أيدي الناس تعش عزيزا.

وأخذ الشيخ أيضا حديث الرحمة عن سيدي التازي، وهو أول حديث سمعه منه، قال: قرأت على الشيخ أبي الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين العثماني وهو أول حديث قرأته بلفظي عليه قال: سمعت من لفظ شيخنا الإمام عبد الرحيم العراقي[2]، وهو أول حديث سمعته منه مطلقا قال: حدثنا أبو الفتح محمد بن محمد ابن إبراهيم البكري الميدومي[3]، وهو أول حديث سمعته منه بسنده مسلسلا كذلك إلى

1. الشيخ عبد القادر الكيلاني جنكي دوست (بالفارسية عظيم القدر) تفقه حتى أحكم الأصول والفروع وسمع الحديث واشتغل به ووعظ حتى برز في الوعظ ثم لازم الخلوة والرياضة والمجاهدة والسياحة والمقام في الخراب والصحراء ثم أظهره الله للخلق ووقع له القبول العظيم فوعظ وأفتى وصار يقصد بالنذور والزيارة (الذهبي. سير الأعلام النبلاء تحقيق شعب الأرناؤوط ومحمد العرقسوسي .دار الرسالة. بيروت 1996. ج 20 ص -443 444). أنظر سيرته أيضا في الشنطوفي، نور الدين أبو الحسن. بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب القطب الرباني الشيخ الإمام عبد القادر الجيلاني. تحقيق محمد حسن مصطفى. دار العالم العربي. حلب سوريا 2003.

2. هو ولي الدين عبد الرحمن العراقي المتوفى سنة 826 هـ صاحب «الغيث الهامع مع شرح الجوامع» وله أيضا «الذيل على العبر في خبر من غبر» تم تحقيقه من قبل السيد صالح مهدي عباس ونشرته مؤسسة الرسالة ببيروت سنة 1989.

3. من كبار رواة الحديث توفى على حدّ قول ابن حجر في سنة 705هـ. أنظر: الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، المعين في طبقات المحدثين دار الفرقان عمان 1980، ج 1، ص 71.

سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ، قال: الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. انتهى.[1]

وذكر لي بعض أصحاب سيدي التازي أن سيدي محمد السّنوسي أخبره بأن سيدي التازي بصق في فيه أي فم سيدي الشيخ السّنوسي، وكان الشيخ التازي عالما زاهدا متصوفا، وقصائده تنبئك عن عِظم مقداره، وله كرامات ومكاشفات، ذكر منها الشيخ الفقيه الأجل الصالح السيد محمد بن صعْد[2] جملة في كتابه: «روضة النسرين»، ومن شعره ،قوله:

أما أن أرى عداءك عن شنار[3] كيف بالشيب زجرا عن عوار
أبعد الأربعين تروم هؤلاء وهل بعد العشية من عرار[4]
فخلّ حظوظ نفسك وأنه عنها وعن ذكر المنازل والديار
وعد عن الرّباب وعن سعاد وزينب والمعازف والعُقار
فما الدنيا بزخرفها بشيء وما أيامها إلا عوار
وليس بعاقل من يصطفيها أتشري العوز ويحك بالتبّار
فتب واخلع عذارك[5] في هوى من له دار النعيم ودار ثأر
جمال الله أجمل كل حسن فللّه الكمال ولا أقمار
وحبُّ الله أشرف كل إنس فلا تنس التخلق بالوقار

1. رواه أبو داوود في سننه والترمذي قال صحيح حسن.
2. من تلاميذ السنوسي له «النجم الثاقب في ما للأولياء من مناقب» مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقمه: 1292 ك. و» روضة النسرين في مناقب الأئمة الأربعة المتأخرين».
3. العيب والعار أنظر «لسان العرب: ج 3 ص 496.
4. العرار هو الفطام عند تعجيله «لسان العرب»، ج 4 ص 296.
5. من خلع العذار أي خرج عن الطاعة وانهمك في الغي وهنا يقصد الشاعر اخلع عذتارك في هوى أي تمرد على هوى النفس ولا تطعها «لسان العرب»ج 4 ص 286.

وذكر الله مرهم كل جرح وأنفع من زلال بلا وار
ولا موجود إلا الله حقا فدع عنك التعلق بالِشفار

ومنه أيضا قوله:

يا صاح من رُزق التقى ونيل الدنا
نال الكرامة والسعادة والغنا
فاصرف هوى دنياك وأصرم[1] حبلها
دار البلايا والرزايا والعنا
ووداد ما رأس الخطايا كلها
ملعونة طوبى لمن عنها إنثنا
لا تغترّ بغرورها فمتاعها
عرض معدٌّ للزوال والفنا
لعب ولهو زينة وتفاخر
لا تخد عنها جنانها مر الجنا
خداعة نكارة ما بلغت
لخلي لها قط المُنا
اليوم عندك جاهها وحطامها
وغدا تراه بكف غيرك مقتنا
فاقبل نصيحة مخلص واعمل بما
يدنيك من رضوان ربك ذي الغنا
يدخلك جنات النّعيم بفضله
دار المقامة والمسرّة والغنا

فائدة: قال سيدي ابن صعْد في «روضة النسرين»: قرأت بخط

1. أي قده من صريمتها كالدابة.

سيدي إبراهيم التازي دعاء، كان يكثر الدعاء به، ما نصه: الحمد لله اللهم صلّ على محمد وآل محمد وهب لي من رزقك الحلال الطيب الواسع المبارك ما تصون به وجهي عن التعرّض إلى أحد من خلقك، واجعل اللهم لي إليه طريقا سهلا من غير نصب ولا تعب ولا منّة، وجنبنا اللهم الحرام حيث كان وأين كان وعند من كان وحُل بيننا وبين أهله، واقبض عنّا أيديهم، واصرف عنا قلوبهم حتى لا تنقلب إلا فيما يرضيك، ولا نستعينُ بنعمتك إلا على ما تحب يا أرحم الراحمين. انتهى.

وتوفي سيدي التازي يوم الأحد تاسع شعبان سنة ست وستين وثمانمائة، وللشيخ شيوخ غير ما ذكرنا.

الباب الثاني

في كراماته ومكاشفاته

ومنها أن بعض الأصحاب الملازمين له طلب منه أن يطلعه على الأسرار، فاختطف له يوما حفنة من ذهب من الهواء، وهو ذاهب معه في فحص البلد، وهو ينظر إلى ذلك، وأعطاه لبعض الأسارى، وقال له: اكتم الأسرار، فلم يظهره حتى مات.

ومنها أن بعض الفضلاء ذهب فلقي رجلا من الأولياء بمكّة، فلما أراد السفر قال له المولى: إذا دخلت بلدك سلم منّا على الشيخ سيدي محمد المتبسم الذي يسمى عندكم بالسّنوسي ، قال له: يا سيدي من أين تعرفه، قال له: إنه يأتي في الموسم لهذا المكان، فيطوف ويسلم علينا، وهو كثير التبسم، فجاء الرجل إلى الشيخ [14] وأبلغه الأمانة، فقال له: اكتم.

ومنها قصة مع الشيخ عبد الجبار[1]، وكان فيها لأهل الخير ومن أهل الكرم، طلب الشيخ أن يذهب معه لمنزله، ففعل وخرج للصحراء ينظر في فسيح ملك الله، فحانت الصلاة، فلم يجدوا ماء، وذلك في الصيف، واشتد عليهم العطش، فاستقبل الشيخ القبلة، ودعا، فنزلت سحابة فيها مطر حتى شربوا وتوضؤوا، ورُفع المطر.

---

1. قد يكون من أصحاب الشيخ محمد بن يوسف. لم نوفق في العثور على ترجمته وذلك بسبب عدم كفاية الاسم بحيث لا يفيد في تفاصيل عن أصله أو مقامه.

ومنهـا وهـي أعظمها، حـدّث به الخـواصُ من أصحابـه، وأمرهم بكتمـه أنـه رأى ربّ العزة جلّ جلالـه في النوم على ما هـو عليه تعالى ليـس كمثلـه شيء، فمن حين رآه فني عـن الكائنات كلهـا[1]، ولم يعبأ بشيء منها، ولا مال إليها طبعا ولا تطبُّعا.

---

1. لا نملك في هذا المقام سوى الرجوع إلى أرباب المعارف. والحال أن العلماء اختلفوا في رؤية الله تعـالى مناماً، هل تقع أم لا. فقد قال السـفارني في لوامع الأنـوار البهية (ح2، ص 258): «وقد اختلف في رؤية الله تعالى مناماً والحق جوازها وبالله التوفيق».
وقال شـيخ الإسـلام ابن تيمية: "فالإنسـان قد يرى ربه في المنام ويخاطبه، فهذا حق في الرؤيا، ولا يجوز أن يعتقد أن الله في نفسـه مثل ما رأى في المنام، فإن سـائر ما يرى في المنام لا يجب أن يكون متماثلاً، ولكن لا بد أن تكون الصورة التي رآها فيها مناسـبة ومشـابهة لاعتقاده في ربه، فـإن كان إيمانـه واعتقاده مطابقاً أتي من الصور وسـمع من الكلام ما يناسـب ذلك، وإلا كان بالعكـس". قال بعض المشـايخ: إذا رأى العبـد ربه في صورة كانت تلك الصـورة حجاباً بينه وبين الله. أنظر: بيان تلبيس الجهمية (ج 1، ص 73).
وقـد صحت رؤية الحق تبارك وتعالى في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وغيره، ونصه: أن رسـول الله ﷺ خرج عليهم غداة وهو طيب النفس، مسـفر الوجه أو مشرق الوجه، فقلنا: يا رسـول الله إنا نراك طيب النفس مسـفر الوجه أو مشرق الوجه، فقال: "ما يمنعني وأتاني ربي الليلـة في أحسـن صورة، فقال: يا محمد. قلت: لبيك ربي وسـعديك. فقـال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري أي رب. قال ذلك مرتين أو ثلاثاً.
قـال: فوضـع كفـه بين كتفي، فوجـدت بردها بين ثديـي حتى تجلى لي ما في السـماوات وما في الأرض. ثـم تلا هذه الآية (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السـماوات والأرض) الآية، قال: يـا محمـد: فيم يختصم الملأ الأعلى؟. قال: قلـت في الكفارات. قـال: وما الكفـارات؟ قلت: المشي على الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المسـاجد خلاف الصلوات وإبلاغ الوضوء في المكاره. قال: من فعل ذلك عاش بخير، ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه. ومن الدرجات: طيب الكلام، وبذل السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام.
فقال: يا محمد إذا صليت فقل: اللهم إني أسـألك الطيبات، وترك المنكرات وحب المسـاكين، وأن تتوب عليّ، وإذا أردت فتنة في الناس فتوفني غير مفتون" رواه أحمد ورجاله ثقات.
في هذا المنحى قال النووي في شرح صحيح مسـلم : قـال القاضي : واتفـق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحتها ، وإن رآه الإنسان على صفة لا تليق بحاله من صفات الأجسام لأن ذلك ذات الله تعالى إذ لا يجوز عليه سبحانه وتعالى التجسم ولا اختلاف الأحوال بخلاف رؤية النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم .أنظر: شرح صحيح مسلم للنووي ج15 ص 25 ط. دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
وقال أبو نعيم الإصبهاني في حلية الأولياء : حدثنا احمد بن جعفر بن سلم قال حدثنا أحمد بن علي الأبار ، قال حدثنا عبد الله بن عون ، قال حدثنا أبو يحيى الحماني ، قال حدثنا قطبة بن عبد العزيـز ، عن يوسـف الصباغ ، عن ابن سـيرين قال : من رأى ربه تعـالى في المنام دخل الجنة . (حلية الأولياء، ج 2، ص 276).

ومنها أن بعض الأولياء وقف على الشيخ وأخبره أنه لقي مؤمني الجن، فقال له: قل للشيخ السّنوسي مهما أكل طعاما، قال: الحمد لله رب العالمين، الشكر لله رب العالمين ثلاثمائة مرة بلا فتور، وذكر فيه ثوابا عظيما.

ومنها أن سيدي محمد بن محمد التالوتي الأنصاري والد سيدي علي بعث للشيخ يوما، فقال له: إن جماعة من مؤمني الجن اجتمعوا عندي، فقالوا لي: أطلب سيدي السّنوسي يجعل لنا دولة في البردة، فلما بلغه الخبر شرع في قراءتها بتفسير عجيب حتى ختمها.

ومنها ما حدّثني به سيدي يحيى الراشدي، وهو من أصحابه، قال: حدثني الشيخ أن الجان تبرك عليه في الليل، وربما يجتمعون على طرف ثوبه، ويحدقون به، فيطردهم بيده فيهربون، ثم يرجعون. قال عنه: لا يتركونني أشتغل بنفسي.

ومنها الاختفاء عن الأعين، فقد حدثني بعض الصالحين قال: كنت أخدم روضا لي، فبينما أنا إذ رأيت الشيخ اجتاز على الطريق بالقرب مني، فجئت لأسلم عليه: فلم أره، ونظرت يمينا وشمالا، فما رأيته ، وليس ثم ما يختفي به من شجر أو حائط. قال: وكنت يوما أخدم في روضي، فإذا بالشيخ دخل روضي ومعه رجل وذلك وقت الظهر، فسلمت عليه وقبلت أطرافه، وجئت بماء لوضوئه من بئر بذلك الروض قليلة الماء جدا، فتوضأ، وبقي فضلة من وضوئه، فألقيتها في ذلك البئر، فمن يومئذ كثر ماؤها جدّا.

وأخبرني بعض أكابر أصحابه، قال: مررت في صحراء، فرأيت الشيخ وحده، فجئت لأسلّم عليه، فلم أره، ولا ادري أين هو، قال: فتعجبت من ذلك ، ثم بعد ساعة، وأنا أمشي رايته دخل جنب حائط، وهو يصلي

فنظرت ذلك الحائط وميزته [15] لئلا يشتبه علي بغيره، وجعلت له علامة، فمشيت إلى عين بالقرب، فتوضأت، وجئت إلى الحائط، فلم أر له أثرا، فنظرت يمينا وشمالا، فتعجبت منه، ثم بعد حين رأيته يمشي، فعزمت أن اسلم عليه، فلم أره، قال: فآيست من لقائه.

ومنها المرائي العجيبة التي رأيت، فمنها رؤية والده سيدي يوسف ليلة ولادته النبي ﷺ في النوم، فقال له: يا يوسف يتزيّد لك ولدٌ ذكرٌ في هذه الليلة فيه العلم والدين، وهذه من أعظم البشارات، ومرتبته عظيمة، وقد قال الشيخ يوما بعد كلام على الأولياء والعلماء والمدرسين، وأنّ مراتبهم مختلفة، يا ولدي اليوم كل واحد من العلماء يدّعي شيئا، وكل من أظهر لهم الحق لا يلتفتون إليه، ولكن لا يظهر الحقّ إلا عند الاجتياز على الصراط، فثم يظهرُ من يجوز كالبرق على اختلاف مراتب الخلق. وأما اليوم يا ولدي، فكلٌ مستور بستر الله سواء الوليّ وغيره في ذلك.

ومنها ما حدثني به أخوه شيخنا وبركتنا علي الثالوتي، قال لي كانت عندنا مملوكة تسمى سعيدة، وكانت تحفظ من سورة الرحمن إلى من «الجنّة والناس»، وكانت صالحة، وكانت ترى النبي ﷺ في النوم وتصفه لنا بصفاته في الكتب. ومهما نزل بها أمر من الأمور رأته ﷺ. قال: فرأته ليلة على عادتها. فقال ﷺ لها: قولي لمحمد السّنوسي كنت تصلي علي كذا وكذا مرة، فرجعت تنقص منها، أو كما قال، فلما أصبحت، قالت: يا سيدي هل عندك أخ اسمه محمد قال لها: نعم قالت لي: قال لي النبي ﷺ كذا وكذا. قال فبعثت لأخي محمد، فجاءني، فأخبرته بما رأته الأمَةُ، فقال أخي: قالت الحق، لاشك أني كنت أصلي على النبي كل يوم ألف مرة، ثم نقصت منها خمسمائة لكثرة الاشتغال بحوائج الناس شّوشوني، ولم أجد لهم راحة ولا انفكاكا. فهذا سبب النقص.

قال: ثم رجع إلى ما كان عليه أول مرة. انتهى. بل زاد على ما كان عليه أول مرة حتى مات مع كثرة ورود الخلق عليه.

ومنها إجابة دعواته، فلقد أصابني رمدٌ شديد حتى لا أقدر على التحرك إلا بشّق النفس، فبقيت أياما يتزايد ويتضاعف، فجئته يوما، فجعل يده اليمنى على عيني، ودعا مدّة، فما فارقته، حتى وجدت راحة، فصرت [16] بحضرته اقدر على قراءة الكتاب وإذا غبت عنه لا اقدر أن أقرأ كتابا، فما كان إلا نحو ثلاثة أيام، فبركت ببركته.

ومنها أنه دعا يوما على مسكن بالخلاء بغضب شديد، فخلا المسكن وذلك لمنكر عظيم رآه.

ومنها أنه كانت سنة جدبة[1]، واحتاج الناس للمطر، فرأى رجل في النوم أنه قصد قبر سيدي الداودي[2] يستغيث للخلق منه، قال الرائي: فبينما أنا في الطريق إذا بالشيخ الداودي قد أقبل، فسلمت عليه، وطلبت منه الدعاء بإنزال المطر، فقال لي امضى معي إلى سيدي إبراهيم المصمودي[3]، فأردنا أن ندخل المدرسة، فإذا بسيدي إبراهيم

1. لم يسقط خلالها مطر.

2. لعله الشيخ أبو جعفر، أحمد بن نصر الأسدي الدّاودي التلمساني المتوفى سنة 402 هـ أنظر نويهض «معجم أعلام الجزائر»، ص 147. وإن كان الأمر كذلك فقد خص ابن صعْد التلمساني تلميذ السنوسي، الشيخ الدّاودي بترجمة في كتابه: «النجم الثاقب فيما للأولياء من المناقب» قال عنه فيه: كان رحمه اله علامة العلماء ومن أكابر الأولياء مشهور بإجابة الدعاء قال القاضي عياض كان أبو جعفر من أئمة المالكية بالمغرب وألّف كتاباً في شرح الموطأ بطرابلس ثم انتقل إلى تلمسان وله تآليف كثيرة في شرح البخاري والفقه وغير ذلك وكان فقيها فاضلا إماما مقدما وتوفي بتلمسان سنة اثنين وأربعمائة وقبره عند باب العقبة فقلت وقبره الآن من المزارات المشهورة واستجابة الدعاء عنده معروفة مذكورة. أنظر: ابن صعد التلمساني، «النجم الثاقب لما للأولياء من المناقب»، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط رقمه 2491.

3. هو الشيخ إبراهيم المصمودي المتوفى سنة 839 هـ قال عنه ابن مريم أنه أوتي الولاية صبيا، أنظر «البستان»، 64 - 65 وهو من أساتذة ابن مرزوق الحفيد أفرد له ترجمة أنظر أيضا:

خرج منها، فسلم عليه الداودي، فرد عليه، ثم قال للدّاودي امض بنا إلى سيدي أبي مدين شعيب، نطلب منه الدعاء، فمضيت معهما، فوصلنا إلى المقابر القديمة، فإذا بالشيخ أبي مدين قد أقبل إلينا. قال لنا جميعا، من غير أن نكلمه: «قضى الله الحاجة للسنوسي له ثمانية عشر ليلة، وهو يطلب ذلك من الله، ويرغب إليه فيها». انتهت الرؤية.

وكان الشيخ هذه الأيام التي أُحتيج فيها للمطر، إذ سمع أحدا يذكر ما عليه الناس من الشدة، تلا وهو الذي ينزل الغيث[1] الآية، فلم تمض أيام يسيرة بعد هذه الرؤيا، إلاّ وقد كثر نزول الغيث وقام أياما، ولما فشت هذه الرؤيا ذكرتها للشيخ لظني أنه لم يسمعها، فقال لي: بلغتني هذه الرؤيا، فقلت له: هل هي صحيحة، فسكت على عادته في أخفاء الكرامات، وأظنه قال : الله يسترنا ثم قلت له: هل يجوز للإنسان التحدث بمثل هذا من كرامات الأولياء قال: لا يجوز التحدث بالكرامات إلا بعد موت صاحبها. فقلت هذا رجل قد شغف بحب ولي من الأولياء، فيحدث بكل ما يراه أو يسمعه من محبوبه من الكرامات قاصدا تعظيمه، فنظر إلي مبتسما، وقال لي: من كان هكذا إلا عليه أن يحدث بما علم صحته. ثم قال لي: قال بعض المحققين إنما كرامة الولي في إجابة دعائه لا في غيره. انتهى.

ومنها أني سمعته في آخر مجلس جلسه للقراءة وكنت أقرأ عليه كتاب «التشوف في رجال التصوف» للتادلي، وختمته ذلك اليوم، فقال لي بعد كلام من عظيم كرامات الأولياء وأحوالهم، وما أعد الله لهم ما معناه:

المقّري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، 1968. مج 5، ص 428.

1. الآية: ﴿وهو الذي ينزّل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته﴾ سورة الشورى، الآية 28.

إن الـولي الكبـير المقـدار قد لا تظهر لـه كرامة في حال حياتـه، وإنما تظهر بعـد [17] موتـه، وأول كرامـة يكرمـه الله تعالى بعد موتـه أن يغفر لكل مـن حضر جنازته. قـال: ومن علامة قبول الميت عنـد الله أن يكثر الخلق لحضـور جنازتـه. وحين مـات لا يخفى كثرة من خرج لجنازتـه، وقد قال بعـض الشـيوخ: حضرت جنائز العلماء والصالحين مثل سـيدي الحسـن أبـركان وغـيره، فما رأيت أعظـم من جنازة الشـيخ رضي الله عنه في كثرة الخلق وازدحام الناس على نعشه، وإقبال القلوب عليها، وقد رأت عجوز ليلة وفاته أن القيامة قد قامت، قالت خلقا لا يحصى عددهم إلا الله تعالى، فسـمعت صوتـا عظيـما ينادي مـن لا يصلي غدا على الشـيخ السّـنوسي، ويحضر جنازته، يُكتب عند الله من الغافلين.

ورأى بعض فضلاء الأندلس ليلة وفاته في منامه في الموضع الذي دفن فيه الشـيخ رجلا على شكل مخصوص، وقال الرائي له: ما هذا الموضع، فقـال له الرجـل: هذا الموضوع نحفره قبر السـيد السّـنوسي، وقد تولى حفره الملائكة والنبي معهم ﷺ. ورأى بعض الفضلاء في نومه الشـيخ وجماعة، وقال: قد شـفعني الله في سـبعين ألفا، فقال لـه: الرائي: وأنا يا سيدي معهم، قال: أنت منهم، إلى غير ذلك من المرائي[1] العظيمة.

يقـول مختـصره أحمد بـاب وفقه الله تعـالى: قد كثر في أشـياء أخرى أسقطتها بحسب الاختصار وفي ما ذكرناه كفاية.

ومـن كراماته بعد موته أن رجلا خرج من حلقِه انتفاخ، فبقي أياما يطلب دواء، فلم يجد شيئا، ثم خرج لقبر الشيخ، فأخذ من ترابه وابتله، ووضعه على حلقه ساعة، ثم تنخّم قطعة من دم منعقد أسود فشفاه الله ببركته من حينه.

1. أي الرؤى.

ومنها أن من توسل به في حاجة بنية صادقة، مستحضرا حبّه وقدره، فإن الله يجيبه، وقد جرّبته غير مرّة، فصحّ، وهو مما ألهمنيه الله تعالى، وقد شاهدت امرأة تفتح بابا، فبقيت تعالج فتحها زمانا طويلا فلم ينفتح؛ ثم ألهمها الربّ تبارك وتعالى، فقال: يا جاه سيدي محمد بن سيدي يوسف السّنوسي افتح لي هذا الباب، فو الله إنها للنفس ما تمّ هذا الكلام إلا والباب قد انفتح بأول ضربة، فتعجبت المرأة من ذلك، وقلت لها: اليوم يظهر مقدار الشيخ رضي الله عنه، وأما في حال حياته، فكان مستورا من بين الخلق. انتهى.

من الأصل المستحضر منه، وهو من الفوائد الغريبة المقطوع بصحتها [18] بشرطيه.

ومنها كثرة ختم القرآن والبخاري على قبره، وكثرة الواردين لزيارته، وإقبال الناس عليه.

وأما مكاشفاته فكثيرة لا تحصى، كان إذا استشير في أمر، فإن رأى فيه خيرا قال: افعل وتوكل على الله، ثم يدعو له، وإلا قال: اترك هذا الأمر، ولا تقدم عليه بعبارة توقن بالشك وعدم الجزم لئلا يفهم عنه المكاشفة، فيكون كما قال.

وقد شاوره بعض أصحابه في سفر، فقال له: اجلس حتى يخير الله سبحانه، فقال: يا سيدي بقينا بلا قراءة ولا موضع سُكنى، فقال له: أو ترجع تقرئ الناس في المسجد أو يرزقك الله مسكنا بموضع كذا وكذا وتتزوج، قال لي الرجل، فقلت في نفسي: إنما قال تسكينا لقلبي، ثم رزقني الله مسكنا بالموضع الذي عيّنه الشيخ، ولم أكن فيه قبل، وتزوجت فيه، وصرت أقرئ العلم بمسجد قريب من مسكني كما قال رحمه الله.

ومنها أنّا خرجنا معه على عادتنا إلى صحراء، فبحثنا عن الماء للطهر فلم نجده أصلا، ثم دخلنا جنانا كبيرا، فلم نر أثر الماء وأيّسنا منه، ثم قال الشيخ جيئوا معي لعلنا نجد الماء، فمشى وحده في طريق صغيرة تحت أشجار وشوك عظيم منحنيا ظهره، ثم تبعناه فإذا هو جالس على عين ماء باردة في موضع خفي، فتبسم، وعجبنا من مكاشفاته.

ومنها ما حدثنا به شيخنا سيدي أبو القاسم الزواوي[1] أبقاه الله، قال أخبرني إنسان أنه عزم على السفر إلى الحج في البحر وللتجارة، وكانت عادته التجارة في البحر، ولا يسافر حتى يأذن له الشيخ، قال: فجئت إلى الشيخ أشاوره، فقلت: يا سيدي عزمت أن أسافر في البحر، فقال لي: توكل على الله وادع لنا في تلك الأماكن الشريفة يعني الحج قال: فتعجبت لأني إنما نويته ولم يعلم به غير الله، فسافرت ووصلت الحج ودعوت له، ثم رجعت سالما غانما.

ومنها أنه قال لي قبل مرضه بيومين أو ثلاثة.

هذا الجامع يعني مسجده مثل المصيدة كل من جاء يحضرنا فيه، يشغلنا عن الأمور الضرورية فنرجع لا نقرئ به أحدا، ولا نصلي فيه أبدا، فقلت له يخلو، إذ لا يجيئون ولا يجتمعون إلا عليك، فقال: هكذا يكون إن شاء الله تعالى، ثم وقفت على صحة قوله بعد موته، وتعجبت من مكاشفاته وكان يخفي الكرامات، ولا يظهر منها شيئا، فسبحان من جعل خموله ظهورا، وظهور غيره دثورا، وقطع الناس بتعظيمه دهورا، وبقي غيره، كأن لم يكن شيئا مذكورا. وقال يوما في الكرامات[19]: المكاشفة الحقيقية عن الله ورسوله يفهم كلامهما، وما تضمنه من الأسرار

---

1. الزواوي أبو القاسم من أكابر أصحاب الشيخ محمد بن يوسف السنوسي، توفي سنة 922 هـ أنظر «البستان»، ص 81.

العقلية والأنوار التوحيدية مع علوم غامضة وأفهام دقيقة وحقائق ربّانية، وكلما كرر النظر فيهما، تجدد له أفهام وأسرار وحكم وإشارات غير ما فهم أولا، وهكذا لو بقي أبد الآباد، فهذه المكاشفة التي بها يزداد معرفة ومحبة وقربا من الله، ولا يعطي الله هذه إلا لخاصة أوليائه، أو كما قال: وقد خصّه الله من ذلك بما لم يشاركه فيه غيره؛ فإذا شرع في تفسير آية أو حديث أبدى فيها من بديع التأويلات وكثرة الاحتمالات ما لا يمكن التعبير عنه، ولا يوجد في كثير من المطولات، ولا يزال يترقى فيها، فيكون الثاني أبدع من الأول وهكذا.

وأما كلامه في طريق التصوف، فلا يقوم بمعناه، إلا من تمكنت معرفته، واتسعت في علوم اللسان مادته، وعلت في الولاية درجته. ومن خصائصه أنه يطالع ويده يجذب بها عقد التسبيح، ويسبح بلسانه، فيجمع بينهما، وربما أُجوّدُ عليه القرآن، فأخطى، فيردُّ علي في ذلك مع اشتغاله بالمطالعة والتسبيح، ولم نر هذا لغيره، ولم يُسمع به عن أحد.

وكان يُقرأ عليه وهو يسبح، وربما نعس، فيقرأ القارئ سطرين في نفسه، فإذا فاق فسر له ما قرأه في حال ذكره أو نعاسه. فسبحان من أكرم قوما، وأكمل عقولهم وعلاّهم أعلى المنازل، وحط آخرين مع مساواتهم في الصورة إلى أرذل الحضيض السافل وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الباب الثالث

في علمه وزهده ووعظه وورعه ورفع همّته وحلمه وصبره وسداد طريقته وشمائله

أما علومه الظاهرة، ففاز منها بأوفر نصيب، وحاز من فروعها وأصولها السهم والتعصيب، ورمى إلى كل فضيلة ومكرمة بسهم مصيب، ولا يتحدث في علم إلا تحدث فيه حتى يقال: إنه لا يحسن غيره سيما علم التوحيد والمعقول. وقد شارك الفقهاء في العلوم الظاهرة، ولم يُشارَك في العلوم الباطنية بل زاد على الفقهاء فيها زيادة لا يمكن وصفها من حلّ المشكلات، وما يعرض من الشُبه المعضلات سيما التوحيد.

فلنذكر طرفا من كلامه في ذلك سبيل عما وقع لسيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه سأل ربّه تعالى فقال: يا رب أين كنت قبل خلق العرش[20] فقال على درّة بيضاء، ثم استشكل هذا الكلام من حيث أنه يوهم استقرار البارئ سبحانه على مكان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فأجاب بأنه معناه: يا رب أين دليل وجودك وكونك، فأجابه البارئ سبحانه، بأن ذلك كائن على الدرة أي فيها بمعنى أن الناظر فيها بالتقدير يستدل بها على موجودها لاستحالة كونها قديمة. انتهى.

وسئل عما ذكر في بعض أحاديث الأسرار أن الله سبحانه قال لأشرف خلقه محمد ﷺ يا محمد أشكو إليك من عبادي البرّ والفاجر، فقال رسول الله ﷺ هذا الفاجر يا رب، فما بال المومن، فقال اقرأ يا محمد وما قدروا الله حقّ قدره[1]، فأجاب بأن شكوى المولى الكريم المذكورة تحمل إن صحت على لازمها، وهو إثبات عجز الخلق كلّهم عن القيام بحقّ جلاله تعالى وجماله للذين لا يحاط بهما، فهي شكوى إعلام لا شكوى غضب وانتقام والله أعلم.

وسئل عما ذكره صاحب: «المدهش»[2] قال: قال الله عز وجل: لا يسعني شيء، ويسعني قلب المؤمن فما معنى التوسعة والشيء هل هو العالم كله، وما معنى التوسعة في قلب العبد المؤمن هل هو ما يعتقده القلب من كونه تعالى ليس بجوهر ولا عرض، مع تيقنه أن له ذاتا لا تحتاج لمحل واعتقاده رؤيته تعالى في الآخرة بلا كيفية[3] ؟ فأجاب أما قوله تعالى يسعني قلب عبدي المؤمن ، فالمراد به كامل الإيمان القائم علما وعملا بجميع الحقوق ظاهرا وباطنا من حقوقه تعالى وحقوق عباده خاصتهم كالأنبياء والملائكة والأولياء وعامتهم كسائر الخلق ومعنى وُسعه له تعالى وُسع طاقته العلمية والعملية بجميع التكاليف

---

1. سورة الزمر، الآية 67، أو قوله تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره الأرض جميعا قبضته يوم القيامة﴾.

2. يعتني به كتاب المدهش لصاحبه العلامة أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، المتوفى سنة 597 هـ.

3. هذا من قول الإمام السبكي في جمع الجوامع في الأصول حيث يقول في عقيدة التوحيد ما مفاده ليس بجوهر لأن الجوهر لغة هو الأصل والله تعالى ليس بأصل لغيره ولا يتركب من شيء ولأن الجوهر هو ما يقبل العرض والله تعالى منزه عن ذلك. ولا بعرض لأن العرض لغة هو ما كان وجوده زائل أي بقاؤه قليل أي يحق في حقه استحالة بقائه والله تعالى له بقاء م يزل ولا يزال ولأن العرض مفتقر إلى محل يقوم به وتعالى الرحمن عن ذلك.

المتوجهة إليه من جهته تعالى مع كثرتها وصعوبتها، ومعارضة القوى الشهوانية والغضبية والوهمية والخيالية لها، وكثرة الأعادي الصّادة من الإنس والجن والشياطين، ولاشك أنه لو عرضت هذه المؤن والتكاليف على غيره من السماوات والأرض والجبال لم تسعها قواهم، وطلبت من المولى الكريم أن يقيلها[1] منها وإطلاق الوسع بحمل المؤمن هذه التكاليف سائغ لغة وعرفا تقول لم يسِع الملك إلا فلان أي لم يطق القيام بحقوقه وحقوق خدمه وعبيده إلا هو. انتهى.

ومن خطه نقلت، وسئل عما ذكره ابن الحاجب في مختصره الأصلي من قوله إنكار حكم الإجماع القطعي ثالثها المختار [21] إن كان نحو العبادات الخمس يكفر، فعورض بقوله في مختصره الفرعي، أما جاحدها فكافر باتفاق، وقد أجاب الشُّراح عنه بأجوبة ضعيفة، فالمراد حلّ الإشكال بجواب غير ما قالوه مع بيان ما هو صواب من أجوبتهم وتزييف[2] غيره. فأجاب رحمه الله قول ابن الحاجب في مختصره الأصلي إنكار حكم الإجماع الخ. عورض بقوله في الفرعي، أما جاحدها فكافر باتفاق، فمنهم من أجاب بأن الاتفاق الذي في المختصر الفرعي محمول على اتفاق المذهب المالكي ولا ينافي وجود الخلاف لغيرهم من العلماء، وهو الذي ذكره في الأصلي وهذا مردود بنص عياض[3] على كفر من أنكر وجوب الصلوات الخمس إجماعا، فتعين أن مراده بالاتفاق في المختصر الفرعي اتفاق العلماء كلهم، وهو الإجماع، وقيل محلّ الإجماع على الكفر إنكار وجوب العبادات الخمس بلا تأويل لأنه حينئذ تكذيب للقرآن وللرسول عليه السلام، ومحلّ

---

1. يجنبه مشقة ذلك.
2. يقصد عدم صحة.
3. يقصد القاضي عياض اليحصبي السبتي.

الخلاف إنكار وجوبها بالتأويل لأدلة وجوبها كإنكار المانعين وجوب الزكاة في زمن أبي بكر، وقد اختلف الصحابة في كفرهم. وهذا أقرب من الأول، لكن يعكّر عليه حكاية القاضي عياض الإجماع على الكفر، ولعله بعد العصر الأول، وقيل محل الإجماع إنكار أصل مشروعية العبادات الخمس ومحل الخلاف إثبات مشروعيتها وإنكار وجوبها. وفي هذا نظر، لأن إنكار وجوبها إن كان بلا تأويل، فالإجماع على إيجابه الكفر، وإن كان بتأويل رجع إلى الجواب قبله وفيه ما سبق، وأقرب ما يجاب به والله أعلم أن ابن الحاجب إنما ذكر العبادات الخمس في مختصره الأصلي على وجه التنظير في شهرة الإجماع لا على سبيل التمثيل بها لمحلّ الخلاف: فكأنه قال ثالثها إن اشتهر الإجماع كشهرة العبادات الخمس وجب التكفير بإنكاره وإن كان خفيّا لم يوجب إنكاره التكفير وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه كثيرا.

وهذا الذي أجاب به هو الحق، ويكاد الإنسان يقطع أنه مراد ابن الحاجب والله أعلم.

ولنقتصر على النزر مما كشف إشكالها وحل بنور فهمه عُقالها، إذ التشاغل[1] بها لا يفي به إلا ديوان مستقل. والمقصود الإشارة إلى بلوغ غايته في العلوم. وكان رحمه الله لا يقرئ في علوم الظاهر إلا خَرَجَ منها لعلوم الآخرة سيما التفسير والحديث لما احتوى عليه باطنه من خوف الله تعالى ومراقبته وعدم التفاته لزخارف الدنيا كأنه يشاهد الآخرة بين يديه، فإقراؤه للعلوم الظاهرة رجعت كلها في الحقيقة [22] علوما باطنة، وسمعته يقول ما معناه أنه ليس ثمّ علم من العلوم الظاهرة يورث لمعرفته تعالى وخشيته ومراقبته إلا علم التوحيد وبه يفتح الله له

1. الانشغال.

في سائر العلوم كلها وعلى قدر معرفته به يزداد خوفه منه تعالى وقُربه منه لأنه لمّا كان يتحدث في ذات البارئ تعالى التي لا مثل لها وما يجب له من الكمال والجلال وما يجوز وما يستحيل. وقد علم أن المشتغل يمدح الملك يتخذه وزيرا له، فيساوره ويجلس معه حيث جلس ولا يفارقه ساعة ويمتعه بالنظر إليه، ويمده بنعمه إلى غير ذلك مما يخصه به. فكذلك علم التوحيد يزداد به الإنسان شرفا وقربا من حضرته تبارك وتعالى، ويُعني[1] به عمّا سواه تعالى لأن شرف العلم بشرف المعلوم.

ولاشك أن الشيخ انفرد بمعرفة علم التوحيد في غاية لم يشاركه فيه أحد، وعقائده تنبئك عن ذلك خصوصا عقيدته الصغرى المتداولة شرقا وغربا لا يعادله من عقائد العلماء المتقدمين والمتأخرين شيء، كما أشار إليه الشيخ في صدر شرحها. وسمعته أيضا يقول ما معناه : العالم على الحقيقة من يستشكل المواضع، ويوضح المشكل لكثرة علمه وسعة فهمه وحسن نظره وتحقيقه. فهذا الذي يجب حضور مجلسه والاستمتاع من غرائبه وفوائد علمه، كما قال الشيخ ابن عرفة في أبياته المنسوبة إليه:

إذا لم يكن في مجلس الدّر من نكتة
بتقرير إيضاح لمشكل صورة
وعُزو غريب النقل أوحلّ مشكل
أو إشكال أبدته نتيجة فكرة
فدع سعيه وانظر لنفسك واجتهد
وإياك تركا فهو أقبح خلّة

قلت: وقد تعذر وجود مثل هذا في مثل هذا الزمان، ولم يبق إلا أقل القليل سيما بعد فقدان شيخنا رضي الله عنه، فتعين أن يجتهد الإنسان،

1. أي يهتم به.

وينظر لنفسه، إذ العامل بعلمه، الخائف لربّه، المتبع للسنة ظاهرا وباطنا، نادر في غاية الندور، ولفقد شيخنا فقد والله العلم، وأظلم ضياؤه، وذهب ضياؤه، ونُقضت خيامه، وانقضت أيامه، وانهدمت أركانه، وذهبت أنواره، ولم يبق إلا رسمه.

فإن قلت: من أين فُقد العلم مع وجود العلماء، وكثرة الحفاظ. قلت: العلم المفقود العلم الخاص لا اللساني، وهو أن الخاص النافع الذي يورث خشية لصاحبه وتواضعه للخلق ونصيحتهم، كما قال السلّمي[1]: كل علم لا يورث خشية وتواضعا ونصيحة للخلق وشفقة عليهم، ولا يحمله على حسن معاملته تعالى ودوام مراقبته،[23] وطلب الحلال وأداء الأمانة، ومخالفة النفس والشهوات. فهو الذي لا ينفع الذي استعاذ منه ﷺ وقال تعالى: ﴿إنّما يخشى اللهَ من عباده العلماء﴾[2]، وقال رجل للشّعبي[3]: أيها العالم، فقال: اسكت، العالم من يخشى الله تعالى، فهذا العلم المفقود بموت الشيخ رحمه الله تعالى. وأما علومه الباطنية الحقيقية المستمدة من الأنوار الإلهية، فهو قُطب رحاها، وشمس ضحاها، يقول: من سمع كلامه فيها، هذا كلام من ليس وطنه إلا غيب الله تعالى. وهذه العلوم محلها القلوب، وهي معادن الأسرار، ومطالع الأنوار، ولهذا لا يمكن التعبير عنها، ولا يعرف حلاوتها إلا من اتصف بها وذاقها. فلهذا كان رحمه الله تعالى يوثر حُبّ مولاه العظيم على غيره، ويراقبه، ولا يتأنس بأحد بل تجده يفرّ إلى الخلوات كثيرا، قد طال فكره في معرفته تعالى فانكشفت له عجائب الأسرار، وتجلّت له الأنوار، كما قال الشاعر:

---

1. السلّمي، صاحب الطبقات.
2. سورة فاطر الآية 28.
3. الشعبي، عامر بن شرحبيل من التابعين توفى سنة 105 هـ.

ومنفرد بالله هام بحبه فليس له أُنس بشيء رسول الربّ
تفرد في الدنيا لطاعة ربه فأورثه علم الكتاب بلا ريب
وآثر حب الله فانكشفت له عجائب أسرار ثوابا على الحب
فمن كان في دعوى المحبّة صادقا تجلّت له الأنوار من غير ما حجب
فيرتاح في روض المعارف دائما ولذّتها أشهى من الأكل والشرب
تخاطبه الأحوال من كل جانب فيفهم عنه بالضمير وبالقلب
يُكاشَف بالأسرار من ملكوته فيأتي عليه الفيضُ من عالم الغيب

إلى غير ذلك، مما قيل. ولا شك أن السادات الأشراف المتصفين بأحسن الصفات هم الذين ورثوا الأنبياء حقيقة واقتدوا بهم ظاهرا وباطنا، فجمعوا بين الشريعة والحقيقة على أكمل وجه. وقد فقدنا في هذا الوقت غير الشيخ السّنوسي، فإنه خلفهم وحصل له ما حصل لهم، فهو القدوة للمقتدى، والهداية للمهتدى، لجمعه بين لطائف الأحوال وصحيح الأقوال والأفعال باطنه حقائق التوحيد، وظاهره زهد وتجريد، وكلامه هداية لكل مريد.

وكان رحمه الله كثير الخوف، متطاول الحزن، وربما سُمع لصدره أنين ودوي من شدّة خوفه لاسيما إن كان وحده مستغرقا في الذّكر حتى لا يشعر بمن معه. دخلت عليه يوما، فوجدته ذاكرا مستغرقا، فلم يكلمني فخرجت عنه.

وكان متواضعا حسن الخلق والمعاشرة، رقيق القلب، رحيما بكل مسلم، مبتسما ظاهرا وباطنا أولا وآخرا، فليرح أمير المؤمنين خاطره، سدده الله من قبلنا، ولا يتشوق إلى شيء من إمدادنا في هذا العيش الدنيوي وإعانتنا[1]. فقد أعاننا مولانا تبارك وتعالى عنه، ومن لم يقنع

1. قد يفهم من قول المؤلف أو الملاّلي نفسه أنه لا يرغب في الحصول على آية هبة أو مساعدة مادية.

بالقليل لم ينفعه الكثير، والعاقل من اغتنم كفاية وقته الحالي لطاعته تعالى، وأعرض عن المستقبل، إذ لعلّه لا يصل إليه وإن وصل إليه، فمخازن مولانا الكريم لا تَبيد ولا تَغيض. ثم الذي نعتقده أيضا أن تلك المدرسة لا حقّ لنا فيها اليوم، إذ لسنا نُعمّرها بقراءة ولا سُكنى ولا خدمة لنا فيها بوجه، فمشاركتنا لذوي الحقوق فيها، وتضييقنا عليهم بالأخذ معهم جوْرٌ وحرص وتكاثر منا إذان، المقصود كفاية المهم الحالي الضروري، وقد حصلت والحمد لله، فلا حاجة لنا في أخذ شيء، ولو قُدّر حلالا محضا من مدرسة ولا بيت مال، وعلى تقدير أن يأتينا شيء من هذه الجهات، فلا نقبله، ولا يصفو لنا في الآخرة خيره، وكل عيش لا يسلم الإنسان من تباعته[1] في الآخرة، فهي فتنة وشر عظيم، وكل من في الدنيا ضيف عابر سبيل في سفر لا فترة معه إلى الآخرة، وكان حلّ كل منا في حفرته، وانفجرت عليه بحار الآخرة، وأهوى لها عن قريب؛ فلا يليق الاهتمام إلا بزاد الآخرة، الذي لا اتجاه إلا معه إلا بفضل الله تعالى، نسال الله تعالى أن يوفقنا ويوفق أمير المؤمنين بصرف الهمّة كلها لزاد الآخرة، وأن يمنّ على الجميع من الفوز برضاه دنيا وأخرى بالمنازل الفاخرة، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. انتهى. ما كتبه رضي الله عنه.

فانظر ما أحلى هذا الخطاب الذي لا يصدر إلا من مثله أوفى الألباب، وما فيه من حسن الوعظ والتزهيد في الدنيا التي صارت عنده أحقر من الذباب. وهكذا كلامه كله تجد له حلاوة في قلبك، ومن كلامه يُفهم عظيم زهده في كل ما سواه تبارك وتعالى حتى في الجنّة، وما فيها من حور وقصور، فإذا لم يتعلق قلبه بها مع شرفها ودوامها، فأحرى

1. أي تبعاته.

بالدنيا وزخارفها. وقد قال أبو سليمان الداراني[1] رضي الله عنه أن لله عبّاد اليس يشغلهم عن الله خوف النار، ورجاء الجنة، فكيف تشغلهم الدنيا عن الله تعالى.

وسمعت شيخنا السّنوسي رحمه الله تعالى، يقول ما معناه: أن الولي الحقيقي هو الذي لو كُشف له عن الجنان، وما فيها من الحور والولدان وغيرها، ما التفت إلى شيء منها، ولا مال إليه بالكلّية [24]، ومهما سكن إلى شيء منها، وركن إليه، فقد ركن لغير الله تعالى، ثم قال لي: هذا هو العارف الحقيقي. انتهى. فهذا هو الزهد الحقيقي، وهو الزهد في الدارين، فإذا وصل العبد إلى هذا الزهد، فقد وضع قدمه في أول درجة من زهد العارفين. فمتى رُقي العبد هذا المقام بموافقة التوفيق والعناية السابقة، اقتصر على أداء الفرائض والرواتب، وانتقل من أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب ومراقبة الهمم، وليس شيء أثقل على النفس، ولا أمرّ منه، لأنه أشدّ عليها من صيام وقيام الليل لاستدعاء المراقبة جهدا عظيما، ومرقى عسيرا، وجهدا شديدا، لأن ما يستفاد من ذلك هو المرغوب، ومن شدائد ما حفّ به من المكاره، يتأتى الهروب، ولو لا هو ما قلّ السالكون، ولا كثر الهاربون، فإنا لله وإنا إليه راجعون. فهذا هو حال شيخنا السّنوسي رضي الله تعالى عنه.

وسمعته يقول ناقلا عن الصوفية أن آخر ما يخرج من قلوب الصديقين هو حبّ الرياسة. قال: واستشكل من حيث أن الرياسة مشروطة الزوال في ابتداء السلوك، فلا يضع المريد قدمه في السلوك

---

1. ورد ذلك لدى الإمام الغزالي في الإحياء ج 4، ص 289. والداراني هو عبد الرحمن بن عطية أصل داريا بسوريا قال عنه الشعراني في الطبقات: «من بني عبس كبير الشأن في علوم الحقائق والورع مات سنة 215 هـ. أنظر: الشعراني، عبد الوهاب، الطبقات الكبرى، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده القاهرة، د- ت، ج 1، ص 68.

حتى يخلع الدنيا من قلبه حتما. فما معنى هذه الرياسة في حقهم. قال: رحمه الله: المراد بالرياسة هنا رياسة الآخرة من حب الجنان والحور والقصور والولدان وغيرها. ولا شك أن هذه ثابتة للصديقين، وهو آخر ما يخرج من قلوبهم.

وهو الزهد الأكبر. فلم يبق في قلوبهم شعور بشيء من الكائنات إلا الله تعالى. قال: وليس المراد بها الرياسة الدنيوية، كما يعتقده بعض الجهلة، لأن هذه مشروطة الزوال عند أول ما يضع المريد قدمه في الإرادة. فهذا معنى كلامهم رضي الله عنهم.

ولقد أحسن بعض العلماء الصالحين حيث أشار لبعض فضائل شيخنا رضي الله عنه. وقال: فشيخنا محمد السّنوسي من أئمة العلم والدين، وأفاضل أوليائه المتقين، نفع الله بعباده العباد، وأبان ببركاته معالم الرّشاد، وحسبك بما له عند الله من العناية، وأظهره عليه من أسرار الولاية، زهده في هذه الدار، وعدم اتخاذه فيها حائط بناء جدار، ثم دعاؤه الخلق إلى طريق الملك الحقّ. فكم له من عقيدة كافية، قرّبت المدارك وموعظة شافية بيّنت المسالك انتهى.

وبالجملة، فتقدمه في الزهد في الدنيا وأهلها، وإعراضه عنها مشهور، وكُتُبه تنبيه عنهما، إذ كلها محشوة بالحكم والتحريض على الزهد، فلا نحتاج إلى مزيد [25] نسأله سبحانه أن يوفقنا لإتباع طريقته، وأن يميتنا على كلمة التوحيد، وأن يكفينا شرّ أنفسنا، وشرّ كل جبار عنيد، وصلى الله على محمد وآله.

وأما مواعظه رضي الله عنه، فلا خفاء في قرعها[1] الأسماع بما تقشعر منه الجلود، وتلين لها القلوب، وكان من حضر مجلسه الشّريف يقول

1. قارعة، تقرع السمع.

معي يتكلم وإياي يخاطب جلُّ مواعظه في الخوف والمراقبة، وذكرُ الموت وأحوال الآخرة، من الحشر والنشر والصراط والميزان، والوقوف بين يدي المولى تبارك وتعالى، وذكر النار وصفتها، وما فيها من السلاسل والأغلال والزبانية الغلاظ الشداد ومقامع الحديد ونحوها من أمور الآخرة، لا تخلو مجالسه من مواعظه البينة، وقواعده الحسنة، وبذلك فضل سائر المجالس، وتجد لأمره ونهيه حلاوة في قلبك لا تجدها في كلام أحد من واعظي زمانه، وتودّ لو بقي كلامه وخطابه النهار كله لحسنه وحلاوته. وكان كثيرا ما يحرض الناس على مخالفة النفس وهواها، وترك متابعتها على حظوظها ومُناها وانظر ما قاله في شرح الجزائري عند قوله:

بحظها غير ما يُغنيك تتركه

قد استعان عليها كل ذي عمل

ويعظ كل شخص بحسب حاله؛ فمن رآه بفراسته مكبا على الدنيا وعظه بالتزهيد فيها، ويقول: الدنيا جيفة قذرة، وسيموت ويفارق الدنيا عن قريب، ويترك كل ما خلفه فيها من مال وأرض وعرض. وكيف يغترُّ الإنسان بما هو عارض يزول عن قريب، ويتعلق بشيء خسيس، ويترك الشيء النفيس، وهو يعلم أنه يفارقه عن قريب، ولا ينفعه فيها إلا ما يقربه من رضا مولاه تعالى، ويقول: لو كان الإنسان عاقلا، لتأمل ما هو قادم عليه من قريب من الأهوال التي لا يستطاع سماعها، فكيف الاتصال بها.

وقد روي أن في الآخرة عشر مائة ألف هول، واحد منها أعظم من أهوال الدنيا عشر مائة ألف مرة، مع أن السّير إلى مباشرتها سريع حثيث، ولعلّه في الحال على شفا جرف لا يُشعر مع جهل خاتمته وانطواء عاقبته.

وسمعته رضي الله عنه يقول: جاء وليّ من الأولياء إلى بعض الأمراء، فقال الأمير للولي ما لكم تزهدون في الدنيا، فأجابه بقوله: أنتم أزهد منا، فقال الأمير: كيف؟ قال: لأن زهدنا إنما هو في الدنيا، وزهدكم أنتم في الآخرة. قال: فلما افترقا تأمل الأمير كلام الولي، فوجده كأنه قال له: أنت أحمق ونحن عقلاء، ولزهدك في نفيس لا قيمة له لشرفه، ونحن زهدنا في حقير[26] لا قيمة له بخسّته، ولاشك أن بذل خسيس في معاوضة نفيس شأن العقلاء بخلاف العكس. قال الشيخ: فانظر حسن وعظ هذا الولي، وما انطوى عليه موجز كلامه ونسبه الحمق والسفه للأمير على وجه لا عتاب فيه، ولا غلظ عبارة. وقد قطع أوصاله بأخصّ عبارة، وألْيَن إشارة، بسهولة ولطافة بلا صولة ولا قهر أصلا، فهكذا شأن العلماء العارفين يسوقون الخلق إلى الله تعالى بعبارات لطيفة سهلة بلا عنف ولا صلابة عبارة، فانتفع الخلق بهم انتفاعا عظيما بخلاف صاحب العلم اللساني تجده يعبر بعبارات غليظة مع صولة وقهر على الناس وأمر ونهي بعنف.

وربما أراد هذا الخبيث نهي رجل عن شيء، فلا يفعله خفية بل يترك المسكين حتى يكون في محفل، فينهاه مظهرا الشماتة به، فهذا وأمثاله من علماء السوء، عدو لله تعالى، جدير أن يُكسر فمه بالحجارة لكثرة جفائه، وغلظ عبارته، وإظهار الفضيحة لأخيه. انتهى كلامه رحمه الله.

ولاشك أن الحال الأول هو حاله كما قد مناه، يسوق الناس بلطافة ولين وسياسة سهلة لا يتكلف ولا يتقعّر في كلامه ولا يتمشدق[1] به كما يفعله أهل الرياء والصولة والسمعة، ولا يواجد أحدا بسوء بل يعظ

1. يتشدق، أي يلوي لسانه أو شدقه تفصحا، ابن منظور، مج 3، ص 409.

على الجملة، ويعظ المتكبّر على الخلق بالنظر لأصله الذي هو النطفة، وإنها قذرة في غاية الخسّة والاستقذار، وما يؤول إليه من الموت، وكيف ترجع إليه حاله بعد الموت من كل قيح مملوءة بدود وغيرها، ويعظ المتعبد بعدم اتكاله على عمله، ويحذره من أن يرى لنفسه شفوفا[1] على غيره ممّن لم يتعبّد أو يظهر عبادة للناس، ويقول رضي الله عنه كثيرا. يقوم المتعبّد بالليل، ويسمع الحاضرين قيامه وتعبّده، ويفعل أفعال من يعلم الحاضرين بولايته ومكانته، فهذا الفاعل عدو لله تعالى مرائي.

هب أنه تعبّد وتنسّك، فهل قُبلت له أولا حتى يتكّل عليها ويستحقر غيره بسببها، وهل يدوم عليها أم لا، وهل وصل بعبادته لله نفع حتى يتكبر فيها على خلقه، ويرى لها أثرا، ولنفسه مزيّة على غيره. كيف والخادم لا يرى لنفسه شفوفا على غيره ولا جميلا على مخدومه إلا بثلاثة شروط: **الأول** كون الخادم حقيقة، هو المخترع لها. **الثاني**: أن يوصل لمخدومه نفعا. **الثالث**: كونه حرا لا مملوكا. فمن أكمل هذه الشروط استحق الشفوف على مخدومه، وكلها منتفية في جانبه تعالى، فكيف يتكبّر على غيره، ويتشرف على غيره وهو رقّ[2] وعبادته الصادرة منه خُلقٌ منه تبارك وتعالى [27] لا شريك له في اختراعها، وهو لا يوصل بعبادته نفعا ولا أثرا لمولانا. فمن نظر في هذه الثلاثة، وعلم انتقاءها كلها في حقّه تبارك وتعالى، فقد عرف نفسه، ومن عرف نفسه عرف ربّه، كما قال ﷺ إلى غير هذا من كلام الشيخ رحمه الله تعالى. قال ابن

---

1. يعني به فضلا عن الآخرين وهو من الشف أي الزيادة وفي الحديث لا تشفوا أحدا يقصد بذلك الربا ويقصد بالشفوف في هذا الموضع التعالي عن خلق الله. أنظر ابن المنظور، «لسان العرب»، مج 3، ص 452.
2. أي عبدَ لا حرية له.

عطاء الله عن شيخه أبي العباس المرسي[1]: معنى من عرف نفسه أي ذُلّها وفقرها وعجزها عرّفه ربّه بعزّه وغناه وقدرته، فيكون معرفة النفس سابقا، ويحتمل من عرف نفسه. فقد دلّ ذلك منه على أنه عرفه الله من قبله، فالأول: حال السالكين، والثاني: حال المجذوبين انتهى بمعناه. وانظر كلام الشيخ على الكِبْر في شرح الجزائري عند قوله: إياك والكِبْر ألسّت، ولقد أحسن الفقيه الأديب الأجل الصالح السيد أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحوضي[2] في قصيدته التي رثى بها الشيخ حيث يقول:

من للعلوم على اختلاف فنونها
يبدي لها نكتا يروق سناؤها
من للقلوب إذا صدت وإذا قست
تأتي مواعظه فيذهب داؤها
فذاك إلا من خصائصك التي
أعطاكها ربٌّ له إعطاؤها

ولقد صدق في قوله إلا من خصائصك التي أعطاكها الخ فإنه لم يبق في هذا الزمان، ويزيل الصدّ أو القساوة من القلوب بعده رحمه الله.

وسمعته يقول ما معناه: شأن العارفين أن لا يغفلوا عن الله طرفة عين، ولو كان أحدهم جالسا مع الناس، وكم من رجل يتكلم معهم،

1. شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي الخزرجي الأنصاري المرسي البلنسي، المتوفى سنة 686 هـ، من أكابر الشيخ أبي الحسن الشاذلي، وفي الاثنين كنت ابن عطاء الله السكندري «لطائف المنن في شرح كلام أبي العباس المرسي وأستاذه أبي الحسن.» ذكره ابن عجيبة في معراج التشوف، ص 88.

2. محمد بن عبد الرحمن الحوضي المتوفى سنة 910 هـ، انظر «النيل» ص 329.

ويجالسهم يحسبونه أنه معهم بقلبه، غافل عن ذكر الله تعالى، وهو لم يغفل عن الله طرفة عين؛ بل معه في حال مجالسته مع غيره، بدنه بين أهل الدنيا يسعى وقبله في رياض الملكوت يرعى.

وهكذا كان رضي الله عنه، فإني ما رأيته قط مع أحد إلا وشفتاه يتحركان بذكر المولى تعالى إلا في حال كلامه لغيره. يذكر الله تعالى بقلبه ولسانه، ولا يشغله إصغاؤه لكلام الناس أصلا وربما اسمعُ صوته بالذكر في بعض الأوقات وغيره بكلمة، واسمعُ لقلبه أنينا من شدة الخوف والمراقبة لله تعالى على الدوام.

وسمعته يقول: حقيقة العبودية امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، مع كمال المذلّة والخضوع.

وأما ورعه، فلا شك أنه أورع أهل زمانه، ولذلك تورع عن قرب أهل الدنيا من السلطان والوزراء والقُوّاد. ولاشيء أبغض إليه من الاجتماع بهم، والنظر إليهم. خرجنا معه يوما للصحراء فرأى على بعد [28] ناسا راكبين على خيول، وعليهم ثياب فاخرة، فقال: من هؤلاء؟ فقلنا له: هم خواص السلطان، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ورجع إلى طريق آخر، ونجاه الله من لقائهم، ولقيهم مرة أخرى، فلم يمكنه الرجوع لكثرة الازدحام، فأدار وجهه لجنب الحائط، وغطّاه بلباسه حتى اجتازوا ولم يروه.

ولما عزم رضي الله إلى ختم تفسير القرآن، ووصل على سورة الإخلاص، وعزم على قراءتها يوما والمعوذتين يوما، فسمع بذلك وزير السلطان، فأراد أن يحضر يوم الختم، فبلغ ذلك الشيخ، فحين سمعه قرأ السور الثلاث في يوم واحد، ولم يؤخر تفسير المعوذتين لليوم الثاني كما نوى أولا خيفة أن يحضره فيه الوزير.

ولما شرع في التفسير بعث السلطان إليه رسولا بأن يطلع عليه، ويقرئ التفسير بحضرته كما هو عادة المدرسين؛ فامتنع من الطلوع، فألحّوا عليه، فكتب للسلطان أو إلى الوزير، معتذرا بأنه يغلبه الحياء كثيرا في ذلك الموضع ولا يقدر على الكلام بشيء فيه، كما يتكلم في مجلسه المعتاد، فأيّس السلطان منه وعلم أن لا حاجة له بالاجتماع به، وليس كغيره ممن يجب ذلك من المدرسين. وإذا سمع أن وليمة عند أحد من أبناء الدنيا، تخلف يومه عن الحضور خيفة أن يدعى، فلا يظهر بالكلية وربما تخلّف قبل الوليمة بأيام فلا يظهر إلا بعد خروج أيام الوليمة بكثير، احتياطا لنفسه. وكان لا يقبل ما يأتي من قبل السلطان أو خاصته أو أقاربه ممّن له تعلق به، وربما تساق الهدايا لداره وهو غائب، فإذا أتى ووجدها أنكر على أهل داره، ويقول: كلّما جاء كم شيء تقبلونه، ويتغيّر[1] لذلك تغيّرا عظيما. وإنما يقبل ما أتاه من سائر المؤمنين الذين لا تعلق لهم بوزير ولا قائد مما كسبوه من التجارة ونحوها، ويكافئه عليه بكلام طيب وكثرة دعائه مع كرامه لحبس شيء من ذلك، ويودّ أن لا يعطيه أحد شيئا بالكلية، فهذا ما قاله الشيخ في شرح الجزائري عند قوله:

ودع المطامع واعلم أن صاحبها
من التملق في ذلّ وفي خجل

وأما رفع همته رضي الله عنه، ونفعنا به، فكان في ذلك العجب العجاب. وقد تطارح عليه ولاةُ الأمور، فأعرض عنهم، وأتى إليه ابن الخليفة يوما ومعه عير[2] منه للفقراء، فقبل يديه ورجليه الكريمتين وطلب منه قبوله

1. أي يغضب غضبا شديدا.
2. جمال.

فأبى من ذلك. فلما أيّس ابن [29] الخليفة منه، قال له خذها يا سيدي وتصدّق بها على من شئت من الفقراء!، فامتنع من ذلك، ثم إن ابن الخليفة تصدّق بها على بعض المساكين من أصحاب الشيخ، ولم يرض الشيخ لصاحبه أن يأخذها منه، فانظر إلى علوّ هذه الهمّة، فهل رأينا في زماننا هذا من يرغبه الولاء في أخذ شيء من الحطام، فلا يقبله ولا يميل إلى صاحبه هذا كله مع ما علم من عادات الشيخ أنه إذا طلب في شيء منعه الحياء الذي جُبل[1] عليه، ولم يقدر أن يخالف أغراض الناس أو يقابلهم بما يسوءهم، حتى إنه يكره الشيء إلى الغاية مثل الكَتْب[2] للأمراء، فيجيء من يطالبه بذلك في الحاجة، فيكتب له حياء منه. فكان اللائق بمقتضى حاله من غلبه الحياء عليه حين قبّل ابن الخليفة يديه أن يقبل منه هديته، ولو بنيّة التصدّق بها، ولكن رأى بنور بصيرته وفراسته أن المصلحة في ترك أخذها وعدم قبولها، فتركه ولم يعبأ به، هذا مع إظهار البشاشة، وكثرة التّبسم في وجه صاحب المال والدعاء له بالخير؛ فلم ينصرف إلا بطيب نفس، هكذا حاله مع الخلق مهما تعارض حقّه تعالى وحقّ خلقه قدم ما هو حقّه تعالى على وجه لا يضرّ بأحد ولا يعتب من أراد منه الموافقة على ما طلب منه، وما تجرّد من حقّه تعالى إذا طولب بالكتب للأمراء، ففيه يغلبه الحيَلُ، ولا يقدر على مخالفة الطالب، ولو تكرر الكتْبُ مرارا كثيرة. ولقد عاتبه أخوه سيدي علي التالوتي رحمه الله، وقال له: لأي شيء تكثر الكتب للسلطان وغيره، فقال له قد كُلّفت بذلك، فقال له: لا توافق عليه، وقل لا أكتب فقال له: والله يا أخي ما يمنعني من ذلك إلا غلبة الحياء لا أقدر أن أقول إلا أكتب، فقال له: لا تستحي من أحد، فقال له: إذا كان الحياء يدخل صاحبه النار، فأنا أدخلها أو كما قال.

1. فطر عليه.

2. أي المراسلة.

وبالجملة، فرفع همّته عن الخلق كافة معلوم عند الخاصة والعامة، فتجده لا يأنس بأحد، ولا يتسبب في معرفته بل يودّ أن لا يرى أحدا، ولا يراه أحد ولا يقرئ أحدا، كما أخبرني بذلك، وقال: والله يا ولدي لو أصبت[1] ما أرى أحدا، ولا يراني أحد، ولا أقرئ أحدا، بل أشتغل بالله وحدي، وقال: وما يأتيني من قبل الناس إن كان قصدهم أن ينفعوني بذلك، فقد سلمت لهم فيه، ولا حاجة لي بأحد ولا شيء من أموالهم. انتهى.

وهذا هو العزّ الأكبر والكنز الأوفر، كما قال أبو العباس المرسي: والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن الخلق انتهى. [30]

وأما حِلمه رضي الله عنه، فمن شأنه أن لا ينتقم لنفسه، ولا ينتصر لها، وربما يقال فيها مكره ويسمعه، فيتعافى عنه ولا يؤثّر فيه، ويرى من نفسه أنه لم يكن شيء من ذلك، بل سماعه لذلك وعدم سماعه سواء عنده؛ وربما يظهر البشر والتبسم عند ذلك، ولقد تكلم رجل بحضرته بكلام قبيح له حتى خجل بعض الحاضرين من ذلك، وهمّ بعضهم بسبه وطرده، والشيخ رضي الله عنه يتبسم من كلامه، ويظهر له البشر والبشاشة في وجهه بحيث يظن أنه لم يصدر سوء من الرجل. وكنت معه يوما في صحراء، فتكلم رجل له بكلام رديء حتى خجلت خجلا عظيما، وكأنه في وقع؛ فأخذ الشيخ يضحك في وجهه، والرجل يزيد في كلامه الرديء، فلما انفصل منا، قلت للشيخ ما هذا الرجل يتكلم بهذا؟ فقال لي: كان يعرفني بصغري، فلذلك تجاسر[2] عليّ، وهكذا شأنه، تجده في كل ما يوجب الغضب والتغيّر يتغافل عنه، ولا يلقى له بالا بوجه.

1. أي لو استطعت، ومازال هذا الفعل يستعمل في نفس المعني في العامية الجزائرية إلى الآن.
2. أي تجرأ.

ولقد وقع لي معه يوما أن ألقيت وردة، فوقع على عينه حتى غلقها، فخجلت من ذلك حتى كدت أن أموت حياء. فلما فطن بخجلي، قال: يا ولدي لو كان أحد يضربنا بالورد لفرحنا غاية الفرح لأنه نعمة من نعم الله، وله رائحة طيبة ذكية، ولا يضر بأحد، فلا عليك ولا عملت معنا إلا خيرا، فزال خجلي وفرحت فرحا عظيما، بحسن كلامه اللّين، ولقد ألقى الله تعالى عليه من الحلم والرأفة ما لم يشارك فيه؛ فتجده يسمح عمّا يقع من سوء الأدب من تلامذته، ويحلم عنهم إذا تشاجروا بما لا يليق مع أنه يتغير في نفسه تغيرا عظيما حتى يظهر في وجهه، ويصبر صبرا جميلا حتى إذا اصطلحوا جاءوا يطلبون من الشيخ أن يسمح لهم [31] فيسمح للكل وينهى كلا خيفة أن يعود لمثل ذلك بكلام لين لا فظّ ولا غليظ.

وتظهر البشاشة والفرح على وجهه لما حصل من تأليف قلوبهم بعد تناكرها. ولقد وقع مني هفوات وسوء أدب في حقه، وهو عالم بذلك حتى ظننت أنه يغضب؛ فجئته يوما معتذرا، فقال لي لا تغتم وأي شيء هذا ولا عليك منه، وربما قال ما يدخل في خاطري يا ولدي، ثم يدعو إليّ بما أرجو بركته في الآخرة.

فهكذا سيرته مع الخلق؛ لا يحقد على أحد ولا يعبُس في وجه أحد بل إذا لقيَه من تكلم في عرضه فاتحه بكلام طيب وسلام وإعظام، ولا يظهر له الملام حتى يعتقد أن ذلك الرجل صديقه [32] أو حبيبه، فإذا غاب عنه بحث عليه، فإن قيل بخير حمد الله أو مريض عاده، وإن مات تبع جنازته إن أمكنه ذلك، هكذا حاله مع من يتكلم فيه، فكيف بغيره حتى لا يميز بين صديقه وعدوه.

وبالجملة فقد وقع له وقائع كثيرة جدا تحتاج لتأليف ترجع لتنقص ممن يدعي أنه أعلم أهل الأرض، وأنه لا يعادله أحد من العلماء، فما

بالي بذلك، فمن جملتها: لمّا ألّف الشيخ بعض عقائده، وأظهرها ليُنتفع بها، أنكر عليه كثير ممن لا يعرفه قدره من علماء زمانه، وتكلموا في عرضه ونسبه بعضهم بما لا يليق، وقالوا ما فعله من إظهار العقائد من أكبر البدع، فحين سمعه الشيخ تغير تغيرا عظيما، وبقي محزونا كئيبا نحو ثلاثة أيام، ثم رأى الشيخ عمر بن الخطاب في منامه واقفا على رأسه وبيده سيف أو عصا؛ فهزّها على رأسه وهدده بها، وكأنه قال له ما هذا الخوف والجزع من الناس أو كما قال، فأصبح وقد زال حرقه وتغيره واشتد قلبه على المنكرين عليه فأخرس الله ألسنتهم، ولم يقدروا أن يتكلموا فيه بشيء لأن الله تعالى إذا علم الحق سجن الخلق، وأظن أن الشيخ رأى النبي ﷺ مع ذلك لقرينة ظهرت عند تحدثه بهذه الرؤيا لأنه سئل هل رايته ﷺ، فسكت على عادته في كتمان ما يراه من الكرامات.

ومع هذا كله حلم وسمح لهم إلى أن مات رحمه الله تعالى، فرجع الكل يقرّون بفضله وخصوصيته، وأنه ذو همة عالية، وأزهد منهم إلا من طبع الله على قلبه[1] تجده يذمّه ولا يرى له مزيّة. فهذا وأمثاله يخاف عليه سوء الخاتمة لحديث من آذى لي وليا[2]، فقد بارزني بالمحاربة. وقال بعض أئمة الصوفية يخشى على المكذب لهم سوء الخاتمة. وقد جاء في الحديث: من حقّر عالما فهو ملعون في الدنيا والآخرة.[3] وجاء: العالم سلطان الله في أرضه، فمن وقع فيه فقد هلك.[4]

---

1. أي أقفل عن الحقّ.
2. حديث قدسي رواه البخاري في صحيحه.
3. أورده الحبيشي في نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف نشر بدار المنهاج جدّة 1997، مج 1، ص 48.
4. رواه

والحاصل أنه لا يعادله أحد في علمه ورأفته بالخلق عاقلهم وغير عاقلهم ممن هو معلوم ضرورة عند الخاص والعام. فتجد كل من غضب أو ظلم أو خاف من شيء أو عرض له حاجة إلى السلطان أو غيره يجيء إلى الشيخ، ويفزع إليه بما علم من حلمه وشفقته، فينظر الكل بعين الرحمة ويقضي حوائجهم، ويسلي قلوبهم، فينفصلون عنه بقلوب طيبة منشرحة لما رأوا من إقباله وتبسمه وقضاء حوائجهم [33] كيفا كانت على الدوام.

وأما شفقته على غير العاقل، فقد كنا معه يوما في صحراء، فإذا بذئب يجري جدا وبعده كلاب وصيادون، ثم كلَّ[1] الذئب فحبسته الكلاب، ثم ذبحه رجل وتركه حتى وصل الشيخ إليه، فنظره ملقى على الأرض لا روح فيه، فبكى وقال: لا إله إلا الله، أين الروح التي كان يجري بها، فتأمل فيه كثيرا.

ومنها أنه إذا مشى على الأرض وضع قدمه برفق وينظر أمامه لئلا يطأ على خشاش[2] الأرض. وسمعته يقول: ينبغي للإنسان أن يمشي برفق[3]، وينظر أمامه لئلا يقتل حيوانا في الأرض، وربما يجتاز ببعض الطرق فيرى من يضرب الحمارا ضربا عنيفا، فيتغير وجهه ولونه ويقول للضارب: أرفق بها يا مبارك، وربما قال: والعياذ بالله من قاسي القلب، وربما ركب هو حمار ألا يمشي أصلا، أو يتمهل كثيرا، فيشير إليه بالغضب، أو يضربه ضربا خفيفا جدا إذا احتاج إليه، فيمشي بقدرة الله مع أنه لا يدعى لذلك إلا بضرب عنيف. وكان كثيرا ما ينهى عن

1. أي تعب تعبا شديدا.

2. أي حشرات الأرض الصغيرة، أنظر ابن المنظور «لسان العرب»، ج 2، ص 209.

3. وتلك صفة عباد الرحمن في قوله تعالى: ﴿و عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ سورة الفرقان الآية 63.

الضرب لاسيما المؤدبين للصبيان ويقول: كثير من المؤدبين لا رحمة ولا شفقة فيهم، للأولاد والعياذ بالله، فتجده إذا رأى شيئا من الصبيان، كأنه مجنون لسوء خلقه، وقساوة قلبه، فيضربهم ضربا عنيفا، ولا يبالي في أي موضع ضرب، وربما يغاضب امرأته، فيرد غضبه على الأولاد، فتجده كالمجنون أو كالحرسي[1] الذي يقيم الحدود يضربهم بأي آلة. فهذا وأمثاله لا يجيء من قبله شيء من القراءة للأولاد ولا ينفعهم الله بشيء مما قرءوا على هذا المؤدب الخبيث، لأنه يعتقد بجهله أن بالضرب يقع الزجر والتعليم، ولولا هو ما حفظوا، فيصير كاعتقاد المعتزلة[2] في نسبة التأثير لغير المولى تبارك وتعالى، فكيف ينتفع الصبيان به بل الغالب على مثل هذا أن تأديبه لا يزيد إلا شرا أو فتنة.

وسمعته يقول: إن لله سبحانه مائة رحمة واحدة لا مطمع لأحد فيها إلا من اتّسم بالرحمة لجميع الخلق والشفقة عليهم حتى الكفار يدعو لهم بأن يهديهم الله تعالى[3].

وسمعته يقول: لما أراد سحنون[4] أن يدخل ولده المكتب اشترط على المؤدب أن لا يضربه أصلا مهما صدر منه شيء أو لعب. فقلت له: لأي شيء فعل ذلك سحنون. فقال لي: لأن كثرة الضرب والزجر مما يؤثر في نقص العقل، ولو بعد الكبر، وأيضا رأى أن لا تأثير لضرب ولا زجر في حفظ [34] ولا اجتهاد عقلا، وأن الأمر بيده تعالى في جلب نفع ودفع

1. ربما معناه الحارس.

2. وذلك في زعمهم أن الإنسان يخلق أفعاله إلى غير ذلك من وقوفهم موقف المنزه لله في تسير صغائر أمور خلقه وقد وقف الأشاعرة من مسالة القدرية تلك موقفا وسطا من المعتزلة وأهل السنة والجماعة في هذه المائل الشائكة، فقالوا إن الإنسان فاعل لأفعاله ضمن الفعل الإلهي وقال أهل السنة إن الإنسان فاعل لأفعاله بعلم الله وتقديره.

3. وهذه قمّة الإنسانية والرحمة.

4. سحنون، أي التنوخي.

ضر، فسلّم ابنه واستودعه الله تعالى الذي لا يكون شيء إلا بإرادته تعالى هكذا يفعل المؤدِب السُّني العالم أن كل شيء بقدرته لا تأثير لشيء من الكائنات في أثر ما كضرب أو زجر. فإذا رأى من الصبيان من يستحق الضرب ضربه ضربا معتادا على قدر ما يقع به الأدب بعد قطعه؛ فإنه لا تأثير للأدب في شيء، وإنما هو سبب عادى أجرى الله العادة بالنفع عند وجوده لا به، وقد يتخلف بل ربما لا يزيده التأديب إلا شرا وفتنة كما هو مشاهد بالضرورة، وأما إذا ظن، وأن الضرب لا يفيد فضربُه حينئذ شفاءٌ للغيظ، وهو حرام إجماعا، فبإقراء مثل هذا يحصل النفع. انتهى. إلى غير هذا من رحمته وشفقته على جميع الخلق.

وقد اتفق لامرأة أمر السلطان بسجنها وأخذ مالها؛ فهربت إلى دار الشيخ فبحث عنها، وقيل إنها في دار الشيخ، فبعث من يسوقها ، فجاء الرسول إلى الشيخ وهو مكرهٌ لكونه خاف من الشيخ، ولم يتجاسر على إخراجها من حرمه، فقال الشيخ: يا سيدي أمرني السلطان بسوق هذه المرأة، وما جئت إلا بأمر وطاعة. فقال الشيخ وطاعة السلطان واجبة كما قال تعالى ﴿ وأولي الأمر منكم ﴾[1]. فلما سمعت المرأة بذلك خافت على نفسها وبكت وتضرعت بين يدي الشيخ، فرحمها وأشفق عليها وقال للرسول سلم على أمير المؤمنين، وقل له إن المرأة عندنا. فرجع الرسول إلى السلطان وذكر له كلام الشيخ فقال له: ارجع إليها وسُقها رغما على أنفها. فجاء الرسول وأخبر الشيخ بمقالة السلطان. فقال الشيخ له ارجع إلى أمير المؤمنين وقل له تركت فلانة جالسة مع الشيخ. فرجع إلى السلطان، وأخبره بكلام الشيخ، فتغير تغيرا عظيما، وأدركته شفقة على المرأة، ولم يقدر على تسليمها وتفكر ساعة، ثم قال للرسول، ارجع هذه المرّة ولعل السلطان لا يقول شيئا وقال الرسول:

---

1. سورة النساء، الآية 9.

خفت على نفسي من العقوبة، فقال له: لا ترجع إلا هذه المرة، وقل له: تركت فلانة جالسة بين الشيخ وبنته وأهله وحفيده. فرجع خائفا وأخبر السلطان بمقالة الشيخ، فسكت ولم يرد كلاما، ثم قال: وهل للشيخ حفيد، قال: نعم قال: ما سنه قال: صغير يمشي على رجليه، ثم قال له سلّم على الشيخ، وقبل عني يده، وقل له إن فلانة حين حصلت في حرمكم لا نضرّها ولا نقربها، وبعث غفارة[1] من ملف[2] لحفيد الشيخ، فرجع الرسول [35] بالهديّة إلى الشيخ، فلما قدم عليه سأله عما قال السلطان فأعاد عليه كلامه، ثم قال هذه هدية بعثها لحفيدكم. ففرح الشيخ فرحا عظيما، وفرحت المرأة أيضا، ثم حفظها الله إلى الآن. فانظر هذه الشفقة العظيمة في هذه الحالة العظيمة.

أما شفقته على الخلق باعتبار خوفه عليهم من المهالك الأخروية، فتجده يدلّهم على طريق السداد، ويسلك بهم سبيل النجاة والرشاد، ويجنبهم طرق الزيغ والفساد. فأين هذه الشفقة من شفقة الأم على ولدها التي غايتها[3] الموت ولا بد منه، وشفقته هو مما يوجب الطرد والبعاد والعطب أبد الآباد، ولله در القائل:

فضل المعلّم قدر ليس يبلغه ... حنوّ الأم ولا يحويه عطف أب
هذا يدرّ في الدنيا معيشته ... وذا يمكنه من أرفع الرتب

هكذا وجدتها من خط الشيخ، وما رأيته قط دعا على أحد إلا مرة رأى في مسكن منكرا لا يقدر على صبره، فغضب لله تعالى، فدعا عليه بالخلاء، فنفدت[4] في اقرب مدة كما تقدم.

---

1. ربما تعني صدقة ترجى منها المغفرة.
2. نوع من القماش الخاص.
3. أي أن منتهى ما تصبو إليه هو أما الشيخ فأشفق ليس فقط في مسالة الحياة بل تعدت شفقه خوفه على الناس من مهالك وأهوال الآخرة.
4. أي قبلت وحصل منها السوء للمدعو عليه.

وأما صبره رضي الله عنه فلا خفاء بماله من الثبات في مركز الصبر كما قدمنا بعضه، ولم يزل يقابل من أساء إليه بالإحسان حتى صار كل من ينكر عليه من علماء عصره يقرون بعلمه وفضله وولايته وعظم مكانته، لما علموا من كثرة صبره وإحسانه وحمله على من أساء إليه وصدقه في طاعة ربّه.

ولما مرض مرضَ موته أتاه بعض من كان كثيرا يذمُّ له من علماء عصره، فطلب من الشيخ أن يسمح له فيما وقع منه من الإساءة والذّم في غير شيء؛ فسمح له وغفر له ودعا له.

ولما توفي الشيخ رحمه الله تعالى أسف هذا العالم عليه وبكى عليه بكاء شديدا، ويقي كذلك أياما حتى الآن إذا ذكره بكى، ويقول: فقدت الدنيا بفقده، وهكذا فعل غيره من علماء وقته.

ولقد سمعته يذكر علماء زمانه ممن يذمّونه ويسيؤون إليه كثيرا، فقال فلان وفلان رجلان فاضلان مجتهدان في العلم، أما فلان فنعم الرجل فيه من الخصال المحمودة كذا وكذا، وفلان فيه كذا وكذا من الخصال المحمودة، ويكثر الثناء عليهما وعلى غيرهما كثيرا.

وقال مرة عن واحد منهما ينفعنا الله بفلان والمسلمين، وبطول حياته.

ومن عظيم صبره أنه يطلب حضور [36] مجلس خصام ليصلح بينهم فيثقل على قلبه غاية الثقل، ومع ذلك يصبر ويقضي الحوائج ويدعو لهم، ولقد ذكر لي يوما رضي الله عنه أنه كتب يوما ثلاثين كتابا من غير فترة. قال: وكلفني إنسان بها، ولا قدرة علي. ومما قال: ولو كان الإنسان ينسخ مثل هذا في كل يوم لظفر بأسفار عديدة من الكتب، وهذه مصائب ابتليناها، وشواغل تشغلنا عما ينفعنا في ديننا فقلت له: الله يزيدكم صبرا ومن عظيم

صبره كثرة وقوفه مع الخلق، ولا يفارق واقف حتى ينصرف عنه الرجل ويذهب الشيخ وما دام واقفا لا يقدر أن ينصرف عنه ويتركه حتى إن بعضهم إذا وقف معه ورأى إقباله عليه وتبسمه في وجهه تجده يكثر فضول الكلام وما لا يعني من الهذيان لغير فائدة، حين يرى الشيخ يضحك لظنه وقلة عقله أنه يحب كلامه، مع أن كلامه أثقل عليه من الجبل، وربما كان يدافع بدلا فيحمل الأذى معه، ويصبر، فلا ينصرف إلا بشقّ النفس. فهكذا حاله الذي لا يقدر عليه إلا أكابر الصديقين وأصفياء العارفين، ومع كثرة اشتغاله بهم وتشويشهم إياه لا يفرّط في أنواع الطاعات ولا يفوته شيء من القربات، بل ما زال إلا جدا واجتهادا في الطاعة لا سيما أواخر عمره وقرب أجله، فرجع عن كثير من قضاء الحاجات واشتغل في ظاهره وباطنه بما يقرّبه من مولاه ومن عظيم صبره في مجلس إقرائه صبره على الأسئلة الباردة فتجده يجيب كل سائل ولو بغير معنى، وربما كثر السائل سؤاله حتى يقنط الحاضرون ويملّوا كلامه ويكرهوا بحثه وهو يجيبه عن كلامه، وربما كثر السائلون كل يسأل من جهة، فيجيب الشيخ كل واحد، عما سأل عنه، وربما كان مستعجلا في بعض الأوقات لأمر يعرض له، فيشغلونه ببارد الأسئلة، فغاية ما يقول إذا ثقل عليه: «يا مبارك، قلت لك كذا وكذا» وكذلك لا تجده يقرأ الأشياء يسيرا مثل ثلاثة أسطار أو أربعة، وكان يحب أن لا يقرئ وربما بقي جمعة أو أكثر لا يقرئ فيها أحدا، وكان يقول في قول ربيعة الذي في صحيح البخاري في باب رفع العلم وظهور الجهل من كتاب العلم لا ينبغي لأحد عنده من العلم أن يضيع نفسه معنى تضييع نفسه أن يشتغل في كل أوقاته، ويستغرقها فيه، والغالب عليه كونه مشتغلا بمخالطة الناس وكثرة المخالطة [37] تُقسي القلب وتُرديه؛ بل ينبغي له أن يتخذ وقتا لخلوته بربه ومناجاته له في وردِه ويتفكر فيهما ينفعه من تلك العلوم حتى يصفو قلبه ويصقل،

فيصدق عليه أنه لم يضيع نفسه قال: ويحتمل أن معنى لا يضيّع نفسه أن لا يترك العمل بمقتضى علمه، وأن يترك جميع الشهوات التي تقصّر به على الدرجات، فمن لم يعمل بمقتضى علمه فقدّ قصر عن تلقي الدرجات، فإذا قصّر عنه، فقد ضيع نفسه، وفاته خير عظيم.

وقد نقل رحمه الله في معناه أقوالا منها: أن من له قابلية العلم وعقل وافر وفهم ثاقب لا ينبغي أن يهمل نفسه ويترك الاشتغال بالعلم فيؤدي لرفع العلم فمراده الحثّ على نشر العلم لأهله لئلا يموت العلم أو مراده أن يشهر العالم نفسه ليؤخذ عنه لئلا يضيع علمه فيثاب أو المراد تعظيم العلم وتوقيره فلا يَهين نفسه بأن يجعله عرضا للدنيا.

والذي اختاره هو ما تقدم أولا أن لا يستغرق أوقاته فيه وبه يوصي بعض أصحابه، ويقول له : إياك أن تستغرق أوقاتك بالتدريس لأنه يقسي القلب بسبب خلطه الناس. انتهى.

وقد أشار الغزالي إلى هذا المعنى في كيمياء السعادة فقال : ما أنكرته من قول الصوفية العلم حجاب لهذا الطريق، فإنه حقّ ، فاحذر أن تنكره فإن كل علم حُصّل من طريق المحسوسات إذا استغرقت فيه كان حجابا من هذا الوجه والقلب كالحوض والحواس الخمس أنهار تصب في الحوض من خارج، فإذا أردت صافي الماء من قعر الحوض فتدبر أن تخرج ماء الحوض كله والطين الأسود الذي من أثر الماء أيضا وتسد طرق الأنهار كلها حتى لا يأتي عليه شي، وتحفر قعر الحوض حتى يظهر صافي الماء في باطنه، فما دام الحوض مشغولا بما حصل فيه من خارج لا يظهر ماء باطنه[1]، وكذلك هذا العلم لا يحصل من

1. يظهر جليا تأثير الغزالي في هذا القول فهو يقول في الإحياء: أما الخلوة ففائدتها دفع الشّواغل وضبط السمع والبصر فإنها دهليز القلب وهو في حكم الحوض تنصب فيه مياه كريهة والمقصود بالرياضة تفريغ الحوض من تلك الأدران حتى يتفجر ماء صافيا» الغزالي، أبو حامد. إحياء علوم الدين. دار الكتب العربية. د ت. القاهرة. ج 3، ص 74.

باطـن القلب ولا يظهر حتى يخلى[1] من جميع ما حصل فيه من خارج. انتهى».

ومـن عظيم صبره، صبرُه عـلى الأمراض الثقيلـة، حتى قال بعض الشـيوخ رأيت الزمنـى[2] والمرضى فما رأيت أعظم من مرض الشـيخ ولا أصـبر ولقد صـدق، فإنك تجـده في مرضه يقوم ويقعـد ويرى أن ليـس به شيء حتى يصفر وتضعف قوته بحيث لا يقدر على حركة ما؛ فحينئـذ يضطره الحـال إلى الاضطجاع. ولما مرضَ مرض موته اشـتد عليـه الحال حتى لم يقدر على الكلام، ولو بإشـارة، وكان أكابر العلماء والصالحـين يزورونـه ويقبلون يـده ورجله، وهو ينظـر إليهم ولا يردّ عـلى أحد بل صامت لا يتـأوه [38] ولا يئن ولا يتحرك ثم بقي ثلاثة أيـام في سـكرات الموت، قد ضعفت قواه غاية، واشـتد نفسـه صعودا وهبوطا، واسـترخى أعضـاؤه، وينظر يمينا وشـمالا وعينـاه محمرتان من شـدة الحرارة، يعقل من جاء إليـه فتعجبت من عظيم صبره، فبقي كذلك حتى مات رحمه الله.

وبالجملـة فعظيـم صبره للمشـقات، وتحمله للمعضـلات لا تقدر عليهـا الجبـال الراسـيات، ولهـذا يحث من شـكا إليه بمصيبـة أو ظلم بالصبر، ولقد شـكوت إليه مرة في إنسان آذاني كثيرا، فأجابني في براءة بقولـه: الحمد لله والصلاة والسـلام على سـيدنا محمد وآلـه، يا ولدي لا تلتفـت لما ترى وتسـمع مما تكره وهـل رأيت من سَـلِم من الناس، فالعاقـل من اشـتغل بما ينفعه في دينه، ولا يبـالي بما يَلقى دون ذلك من المشـاق، إذ لا تُدرك معالي الأمور إلا بالصبر على ما يكره، ومن عرف

---

1. أو يخلو.

2. لعلهـا مـن الزمانة بكسر الزاي ومعناهـا العاهة والزمِن هو ذو العاهة كقولهم زمِن حسـنُ البلايا أنظر ابن المنظور، «لسان العرب»، ج 3 ص 202.

قيمة ما يطلب احتقر كل ما يُبذل فيه من لذة وغيرها، فانظر قوله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾[1] أو قوله ﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا﴾.[2]

ونحوها مما هو كثير، وكل من استعظم مشقّة في جنب ما يطلب لم يجئ منه بشيء دنيا ولا أخرى، وإذا سَلمت للعاقل العينُ التي يشرب منها، فلا يضرّه ما يشاهده من التكدر والتغير فيما بقي والله سبحانه المسؤول أن يجمع شملنا على طاعته وما فيه رضاه ويمنّ علينا بسلامة الصدر وحسن الخاتمة والمغفرة بلا محنة يوم نلقاه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأما سداد طريقته مع ما ينضاف إليه من شمائله، فكان رحمه الله تعالى شديد التحرّز[3] من حقوق العباد مسرعا للوفاء بها حتى إنه يوفي الشيء قبل استحقاقه، إذا استعار كتابا رده لصاحبه في أقرب زمان قبل أن يكلمه صاحبه، وربما كان سِفْرا[4] ضخما كبيرا لا تمكن مطالعته إلا في ثلاثة أيام فيختمه مطالعته يوما واحدا ويرده، وقد أمرني بأخذ كتاب فيه نحو ثلاثة عشر أو خمسة عشر كراسا من القالب الرباعي من إنسان فسُقتُه[5] له فبقي عنده ليلة، ثم رده في صبيحتها، فقال لي : ردّه لمالكه وسلم عليه وقل له جازاك الله خيرا عني، فقلت له لأي شيء رددته، فقال لي: ختمته كله وعرفت مُضمّنه، فقلت في ليلة؟ فقال نعم! فتعجبت منه مع أن عادته إحياء الليل كله وجله فتبسم كثيرا رحمه الله من تعجبي، ثم قال فهمته بالمعنى،

---

1. من سورة الأنبياء الآية 73.
2. الأعراف الآية 137.
3. الحذر من الوقوع في انتهاكها.
4. جمع أسفار وهي الكتب الضخمة.
5. أي جلبته له.

وهكذا يفعل بسائر الكتب. تجده يطالع كتابا فلا تمضي عليه ساعة حتى يأتي على آخره مع شغله بذكر [39] الله في حال مطالعته لا يفتر[1] عنه.

يقول مُختصره[2]: ذكر السيد السمهودي[3] في كتاب «جواهر العقدين في فضل الشريفين» عن شيخه شرف الدين المنّاوي[4]، أظنه عن شيخه ولي الدين العراقي[5] أنه قال: إذا استعار رجل كتابا فبقي عنده أكثر من عدد أوراقه، فاعلم أنه لم يستعره لمطالعة ولا كتْب[6] ولا قراءة. انتهى.

وهؤلاء هم القوم، وقد كنا نأخذ كتب الناس فتبقى عندنا زمانا طويلا لا ننظر فيها ولا نشتغل بها بل نحبسها عن أربابها حتى أدّى ذلك إلى تلف كثير بيدنا حين أوقع بنا محمود زرقون[7] في أول عام اثنين وألف.[8]

---

1 لا يسأم ولا يكل.

2. أي العلامة أحمد بابا التنبكتي.

3. هو السمهودي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد بن علي الحسني، السمهودي نسبة لسمهود إحدى قرى مصر، المتوفى سنة هـ 911 أنظر، الزركلي «الأعلام» ج 4، ص 307 وكحالة عمر رضت «معجم المؤلفين» دار إحياء التراث العربي بيروت د- ت، ج 7، ص 126 وج 13 ص 407.

4. هو المنّاوي، شرف الدين إبراهيم بن إسحاق، المتوفى سنة 871 هـ من علماء الشافعية الكبار، لازم السيوطي وأخذ عليه أنظر عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد في إعراب الحديث للجلال السيوطي من تحقيق د. موسى الشاعر، أنظر كحالة «معجم المؤلفين»، مج 1 ص 11.

5. هو أحمد بن عبد الرحيم، ولي الدين العراقي المتوفى سنة 826 هـ صاحب «الذيل على العبر في خبر من غبر»، حققه صالح مهدي عباس من منشورات مؤسسة الرسالة بيروت 1989 وله أيضا «الغيث الهامع في شرح جمع الجوامع» للتاج السبكي، انظر، كحالة «معجم المؤلفين» ج 1، ص 270.

6. أي كتابة.

7. القائد المراكشي الذي بعث به المنصور الذهبي للهجوم على تنبكت وآل أقيت واستعمارها.

8. وهو تاريخ وقوع أحمد بابا في الأسر واقتياده إلى مراكش.

اللهم بحق نبيك وأمين وحيك وبحق صالحي عبادك منهم سيدي السّنوسي أجبر على كل ما ضاع مني من الكتب[1] عاجلا آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

رجع: وكان إذا أودع عنده شيء من عين أو غيره كتب بخطه اسمها وعددها واسم صاحبها، ثم إذا جاء صاحبها أمره بعدها، فحينئذ يرفعها، وكان لا يثني على مُريد[2] بين أصحابه خشية أن يُحسد، فإذا انفرد مع بعضهم سمعته يقول ما عندنا إلا فُلان، وكان كثيرا ما يأمر أهله بالصدقة لاسيما وقت المجاعة، ويقول: من أحب الجنة فليكثر من الصدقة خصوصا في هذا الزمان الذي قلّ فيه الطعام وكثيرا ما يتولى التصدق بنفسه (صحّ بيده) سيما في أواخر عمره وكان كثيرا من الفقراء والزمنى يأوون بمسجده فيتولى إخراجها من داره وفي الليل كثيرا لئلا يراه أحد وربما يرفع لهم عشاءه خفية ولا يجد لهم شيئ سواه أو ما فضُل منه. ومن عادته أنه إذا أتته هدية دفعها جميعا لأهله. فإذا أراد التصدق طلب من زوجته ما تعطيه، فربما تمنع في بعض الأوقات لأن الأمر بيدها ولا يقدر أن يتصرف في شيء بغير إذنها، فإذا لم يتمكن من ذلك بقي حزينا لشفقته ورأفته للمسكين. فلا يزال كذلك حتى يُقيّض[3] الله من يعطيه شيئا يعطيه هو للفقير، فحينئذ يفرح وقد اتفق[4] له ذلك مرارا وربما استضافه جماعة كثيرة، فلا يجد لذلك سبيلا، فيُقيّض الله له من يدفعهم بأجمعهم ويضيفهم ببركته، وقد أهدى له إنسان قفّة مملوءة إجاصا، فأمرني برفعه للدار، ورد القفة لصاحبها، فرفعتها،

1. أي بعد أسره.
2. في لغة الصوفية هو التلميذ أمام أستاذه أي شيخه.
3. يسخّر.
4. أي حدث له ذلك.

فأعجبني الأجاص لكبره، وتناهي[1] طيبه، فأخذت منها إجاصتين، ثم لما رجعت، أخبرته بما جرى، وأريته الإجاصتين، فضحك، وقال لي لم نرفعه كله أنت أولى به ما عملت فائدة. وهذا لا يحتاج إلى إذن لقوله تعالى ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا﴾[2]. إلى قوله [40]: ﴿أو صديقكم﴾ فأنت صديقنا. انتهى.

وكان رضي الله عنه كثيرا ما يخرج إلى الخلوات والمواضع التي عمرت ثم خربت، وبقي آثارها وخصوصا المنصورة[3]، فتجده كثيرا يكثر نظر الحيطان ويعتبر في تلك الآثار والبنيان وما فيه من عظيم الإتقان ويسوق حديث «رحم الله عبدا صنع شيئا فأتقنه»[4]، ويقول أين سكان هذه المدينة وكيف كانوا يتنعمون ويأكلون وينكحون، ثم يمرّ على الحوانيت الخالية ويقول أين الذين كانوا يتّجرون هنا بالأمس في البيع والشراء؟ فنحن عن قريب نصير، كما صاروا تحت التراب. شعر:

هذي منازل قوم قد عهدتهم ... في خفض عيش نفيس ما له خطر
صاحت بهم نائبات الدهر ... فانقلبوا إلى القبور فلا عين ولا أثر

إلى غير ذلك من كثرة نظره وتفكره[5] حتى في الربيع والأشجار والأطيار وغيرها، فتجده يتلونّ تارة أصفر وتارة أحمر ومرة ينقبض،

1. أي فوحان رائحة الطيبة.
2. سورة النور الآية 61.
3. مدينة وجدت بضواحي مدينة تلمسان قديما، بناها السلطان المريني يوسف بن يعقوب سنة 705 هـ بغرض الإقامة بها عند مقدمه تلمسان للحرب أو لغير ذلك، وقام سلاطين بني عبد الواد بتخريبها نكاية في بني مرين. أنظر «جذوة الاقتباس»- ص 63.
4. وفي حديث آخر «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» رواه الطبراني في «الأوسط» والبيهقي في «شعب الإيمان».
5. عملا بقوله تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾، الآية 191 من سورة آل عمران.

فيتغير لونه كثيرا لغلبة الخوف عليه، وهو الغالب عليه في انفراده ومرّة ينبسط وينشرح وجهه مع الخلق وربما انقبض مع بعض أصحابه.

وسمعته يقول كم من إنسان يضحك مع الناس ويبكي قلبُه من خوف ربه يحسبه الجاهل أنه كما ضحك بظاهره يضحك بقلبه وليس كذلك، فهذا شأن العارفين لسعة معرفتهم في الظاهر مع الخلق وقلوبهم مع الحق. انتهى.

وقد سأله بعض أصحابه ممن يبحث عن أحواله، فقال له : لأي شيء يتلون وجهك وتتغير كثيرا ولا تزال منقبضا؟ فقال لتدع عنك هذا، فطلبه ثانيا فقال له الشيخ أقول لك بشرط أن تكتمه ولا تخبر به ما دمت حيّا. فقال له نعم! فقال الشيخ : إن الله تعالى أطلعني على رؤية جهنّم ورؤية ما فيها، نعوذ بالله منها، فمن حينها صرت أتغير وأحزن إلى الآن؛ فهذا سبب ما ترى مني من التغير.

وأخبرني شيخنا وبركتنا بلقاسم الزواوي[1] حفظه الله، وهو من أكابر أصحاب الشيخ وقدمائهم قال : سمعته أن هذه العوالم كلها من عرشها إلى فرشها قد ضاقت عليّ وأنه لم يبْدُ في جميعها ما يسّره فلم يمل إلى شيء منها بالكلية. انتهى.

وما ذاك إلا لعظم خوفه ومراقبته في كل لحظة وكثرة استغراقه وتفكره في العوالم حتى كأنه مسجون فيها، وأنه في قبضته تعالى. فلذلك ضاقت عليه، وكان يصوم يوما بيوم كما هو صوم داود عليه السلام، ويفطر كل شيء يسير من الطعام ونحوه يوم فِطره، ولا يبحث عن مأكل وربما يبقى ثلاثة أيام أو يزيد لا يأكل ولا يشرب إن تفقّده أهل داره بالطعام وإلا بقي كذلك، وربما سألوه بعد [41] مضي جلّ النهار هل هو يفطر أم لا؟

1. بلقاسم الزواوي سبق ذكره.

فيقول: لست بمفطر ولا صائم فيقولون له لم لا تعلمنا بفطرك فيسكت ويطرق برأسه إلى الأرض مبتسما وكان يعجبه ما خفّ من الطعام كالمرق والخبز غير الفطير ويتجنب ثقيل الأطعمة، وكان لا يأكل من الخبز إلاّ فتاته دون قشرة، وإذا أكل مع غيره أطرق برأسه إلى الأرض ولا ينظر إلى أحد إلا لضرورة. وإذا أكل من طعام غيره ربما تكلف في زيادة الأكل على عادته، إذا طالبه صاحب الطعام بذلك ولكن لا يشبع[1]، وربما كأن الأطعمة مختلفة ولا يعلم بها فيأكل من واحد على أنه لا يزيد شيئا ثم يؤتى بآخر، فيتكلف ثم بآخر ويطالب وهو لا يقدر على شيء فتجده يرفع في يده شيئا يسيرا ليطيّب قلب صاحبه، وقد رأيته قُدّم له ذات مرة طعام ثالث فطالبه صاحبه بالأكل كما أكل من طعام غيره وأنا على يمينه، فالتفت إلي وقال لي احفر من أمامي وارفع من الطعام الذي أمامي ليتوهم صاحب الطعام إني قد أكلت من هذه الحفرة، ففعلت وأزلت نحوا من ست لقم وجعلتها أمامي ولم يعرف أحد فلما طالبه صاحب الطعام بالأكل قال له ها هو أمامي وأوهمه بالأكل ولم يأكل وإنما فعله جبرا لقلبه.[2]

وكان لا يكبّر اللقمة ولا يصغرها بل متوسطة ويجعل في حال أكله ركبة رجله اليمنى على بطنه ووركه الأيسر على الأرض، وربما جلس كما يجلس للتشهد، ويجلس في غير الأكل محتبيا[3] أو مشدّدا لشيء أو متكئا على جنبه. وكان ربما مزح مع بعض أصحابه ولا تجد أحسن منه حينئذ ولا يرفع صوته في كلامه ولا يخافت[4] به بل معتدلا مع الضحك مع الناس جميعا ويقطع في مشيته مسافة بعيدة كالثلاثة أميال فما فوق

1. عملا بقوله ﷺ نحن قوم لا نأكل إلا إذا جعنا وإذا أكلنا فإننا لا نشبع.
2. أي خاطره.
3. يكاد يحبو حبوا.
4. عملا بقوله.

في زمن يسير لا يعيا أصلا بل لا يشعر من يمشي معه لموضع بعيد حتى يصل إليه. وكان إذا لقي أحدا أو رآه من البعد وعلم قصده إليه وقف ينظره وربما مشى إليه خطوات لاسيما في حق الضعيف كالشيخ الكبير ويدعو لمن طالبه بالدعاء بقوله: الله يختم لنا ولكم بخير أو الله يختم بخير. وكنت معه يوما يحدثني فأعجبني كلامه وانشرحت كثيرا، فقلت له: يا سيدي ادع الله لي أن لا يفرق بيننا. فقال: لا تقل ذلك يا ولدي لابد لنا من الفرقة عن قريب إذ لا دوام للدنيا ولكن أدعو لك بما كان سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري[1] يدعو به لنا ولأصحابه حيث يقول لطالب الدعاء بعد الفرقة، الله يجمع بيننا في الجنة حيث لا فرقة وأنا أقول لك كذلك، ففرحت بذلك فرحا شديدا.

وكان يصافح الناس؛ فمن قبلَّ يده لم يمنعه. ولا يلبس [42] لباسا مخصوصا يُعرف به، بل يلبس معتاد اللباس اليوم عند الحاضرة، ويلبس

---

1. العلامة سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري المتوفى سنة 884 هـ صاحب العقيدة اللامية المسماة باسمه «الجزائرية» ومطلعها:

الحمد لله الواحد الأزلي سبحانه جل عن شبه وعن مثل
فليس يحصر الذي أولاه من نعم أجلها نعمة الإيمان بالرسل.

وكان قد بعث بهذه المنظومة للعلامة السنوسي طالبا منه شرحها فردّ عليه هذا الأخير في مصنف سماه «شرح الجزائرية» قال فيه:

شرح الكفاية أيها المتدين تلخيصه فرض عليك معين
تجلو معانيه القلوب من الصدا وتنيرها واللفظ سهل بين
ما هو إلا روض يحسُن منظر من ذا يرى حسنا ولا يستحسن
يا ناظريه وكاسبيه بغبطة فأعز من ثمن النفيس المثمن

يجزي مؤلفه الإله بجنة دار النعيم بها تقر الأعين.

ولما توفي الجزائري رثاه أستاذه سيدي عبد الرحمن الثعالبي بقصيدة مطلعها:

لقد جزعت نفسي لفقد أحبة وحقّ لها من مثل ذلك أن تجزع
ألمّ بنا ما لا نطيق دفاعه وليس لأمر قدّر الله مرجع.

أنظر سيرة أحمد أبي العباس الجزائري في الحفناوي، «تعريف الخلف» ص 33.

نعلين كحلين في الموضع القريب وفي البعيد يلبس سباطا[1] أكحل بحيث إذا رآه من لا يعرفه ظنه من جملة أهل الحاضرة، وكذا في جميع أموره لا يخالف العرف، وكان لا يتوسوس في وضوء ولا صلاة، ولا يسرف في الماء، بل يعتدل فيه، وينهي أصحابه عن الوسوسة وينبغي للإنسان إذا أخبره الشيطان أنه بقي عليه شيء من وضوئه أن لا يساعده على كلامه، فربما يؤول به الأمر إلى الإخلال بالفور، وقد قيل بوجوبه، وكان يكره من يكلمه بعد صلاة الصبح والعصر، ويتراخى في تكبيرة الإحرام بعد الإقامة، ولا يكبر إلا بعد حين ويقرأ في الأولى من صلاة الصبح بالانفطار[2]، وفي ثانيتها بالطارق[3] هذا في الغالب، وربما قرأ فيه بالانشقاق[4] وسبّح، وفي أولى المغرب يقول: يا أيها الكافرون[5] وإذا جاء نصر الله[6]، وفي ثانيتها يقول: قل هو الله أحد[7] وفي أولى العشاء بالتين[8]، وفي ثانيتها سورة الفيل[9] ويطيل السجود بقدر ما يقول سبحانه ظلمتُ نفسي ظلما كثيرا فاغفر لي خمس مرات، وربما خفف في بعض الأوقات مع تمام ومع تطويله لا تجد أحلى منها، وكان إذا قام من الليل للتهجّد يسمع له أنين عظيم، ولقد بات في دارنا ليلة فأكلنا معه

---

1. أي حذاءا ولعلّ قرب الحاضرة التلمسانية بأهل الأندلس أثر في لغتهم فاقتبسته من الإسبانية ثابطو zapato .
2. سورة الانفطار.
3. سورة الطارق.
4. سورة الانشقاق.
5. سورة الكافرون.
6. سورة النصر.
7. سورة الإخلاص.
8. سورة التين.
9. سورة الفيل.

وصلينا وراءه صلاة العشاء ثم جلسنا نسأله إلى قرب نصف الليل، فنمنا وبقي هو كذلك إلى أن طلع الفجر فسمع له أيّ أنيني عظيمي، فلما أذن المؤذنون قمت أنا من النوم، فإذا هو جالس مستقبل القبلة، يذكر الله تعالى، ثم خرج يصلي بالناس، وكان إذا صلى الصبح بقي على حالته يذكر الله حتى تطلع الشمس أو قرب طلوعها، وربما جعل رأسه بين ركبتيه وهو مستغرق لا يشعر بشيء. وربما تجاسر الناس بحضرته ويتضارب فلا يشعر بذلك لحضوره مع الحق وحدثتني السيدة زوجته أنه كان في ابتداء أمره إذا قام من الليل نظر إلى السماء ويقول يا سعيد كيف تنام وأنت تخاف الوعيد، قالت: والتزم صوم عام متى رجع إلى النوم إذا استيقظ من نومه فمن ذلك إذا استيقظ من نومه لا يعود إليه إلى أن فارق الدنيا وعادته ينام ساعة في أول الليل ثم يحيى الليل كله إلى صلاة الفجر، وفي الليالي يبقى ساهرا في الليل كله حتى يظهر أثره في وجهه، وكذا تجده كثيرا ما يغلبه النعاس. انتهى يقول مختصره: وكان شيخنا السيد الصالح العالم المتقن سيدي محمد بن محمود بَغبع[1] كثيرا ما يلازمه النعاس في درسه بالصبح ويتكالب عليه فتراه يضرب بخده، ومع ذلك لا ينقطع عن الإقراء ولا يسأم منه وسمعت أنه كان [43] كثير الصلاة بالليل دائما رحمه الله ونفع به.

---

1. من كبار شيوخ أحمد باب تقدم ذكره

الباب الرابع

في عدد مصنفاته

فنمها: شرحه الكبير على فرائض الحوفي، وسماه «المقرب المستوفي»[1]، وهو كبير الجرم كثير العلم، وهو أول ما ألف ابن تسعة عشر سنة أو ثمانية عشر. وقال آخره: جمعت هذا التقييد في زمن الصغر قاصدا نفعي لعدم تمكني من شرح أستعين به على فهم هذا الكتاب، فجمعته وقت قراءتي من أشياخي مع (ما)[2] استحسنته من كلام بعض شُرّاحه معتنيا في ذلك بكلام شارحه الإمام العلامة ذي الآراء العجيبة والتصرفات الفائقة الغريبة سعيد العقباني[3] غفر الله له، فإنه شرح تقف عقول النجباء عنده، ولم ير الراءون ولا يرون مثله قبله ولا بعده، وتضمّن هذا التقييد كثيرا من فوائده إذ كان عليه معتمده في إيضاح فقه الكتاب وما فيه من حساب مع اختصار، ما يُستغنى عنه، وزيادة إيضاح بوضع صور المسائل وإزالة حجب مشاكلها، فهو جدير بتحصيل الغرض. انتهى.

1. أنظر أحمد بابا «نيل الابتهاج وابن مريم «البستان»، ص 245 و«الإيضاح» ج 2 ص 442 و«الكشف» ج 2 ص 1246.

2. ربما سقطت سهوا.

3. هو سعيد بن محمد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني المالكي، عالم فقيه مشارك من آثاره «شرح الحوفي في الفرائض» و«شرح الجمل للخونجي» في المنطق شرح «التلخيص» لابن البناء أنظر «النيل» 125 - 126 الديباج 124 و«البستان» 105 - 106.

ولمّا وقف عليه الولي العارف بالله تعالى سيدي الحسن أبركان وتأمله فأعجبه كثيرا أمر بإخفائه وعدم إظهاره. وقال: لا تُظهروا هذا الشرح إلاّ بعد حين أو حتى يبلغ سن مؤلفه أربعين سنة، فإنه لا نظير لهذا الشرح فيما علمت، فإذا أظهر الآن ربما حُسد مؤلفه وتصيبه العين، وأثنى عليه كثيرا ودعا لمؤلفه فلم يظهر إلا بعد حين.

ومنها عقيدته الكبرى المسماة بـ «عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات الجهل، وربقة التقليد»[1] في عشرة أوراق من القالب الرباعي، وهي أول ما صُنّف في التوحيد، ثم شرحها المسمى بـ «عمدة أهل التوفيق والسداد»[2]، ثم عقيدته الوسطى[3]، وهي دون الكبرى، ثم شرحها في ثلاثة عشر كراسا من القلب الرباعي، ثم عقيدته الصغرى[4]، أخصر من الوسطى، ثم شرحها في ستة كراريس كذلك، وهذه من أجلّ العقائد لا تعادلها عقيدة[5].

وقد أشار الشيخ إلى ذلك في أول شرحه. وقد حدثني مؤلفها. قال: حدّثني صاحبنا سيدي محمد بن يحيى[6] قال: كان لنا صاحب قرأ على سيدي محمد بن مرزوق[7] وأدرك زمن وضع هذه العقيدة الصغرى

1. أنظر أحمد بابا في «النيل»، ص 571 و«الكشف» ج 2، ص 1157 و«الهدية» ج 2، ص 216.
2. طبعت بمصر سنة 1292 أنظر «الكشف»، مج 2، ص 1152 و«النيل» ص 571 و«البستان» ص 245.
3. أنظر «النيل»، ص 571 و«البستان»، ص 245.
4. من مؤلفات السنوسي.
5. من مؤلفات السنوسي. يوجد منها مخطوط بالخزانة العام بالرباط رقمه د. 937.
6. قد يقصد به يحي بن محمد، أبو السادات، المديوني التلمساني له ترجمة في البستان، ص 305. وقيل الوهراني المتوفى سنة 951 هـ وكان كما ورد في «السلوة»، مج 3، ص 311: «فقيها صالحا مسنا بركة».
7. محمد بن مرزوق ورد ذكره آنفا.

قال: ثم ماتا. قال سيدي محمد بن يحيى: فرأيته في المنام، فسألته بالله إلا أخبرني عمّا لقي من منكر ونكير، فقال: فبنفس ما دفنت وانفصلا عني، دخلا علي فأجلساني، وسألاني عن ديني، وأول ما سألاني عن التوحيد، فقالا لي ما قرأت من كتب التوحيد، فقلت لهم عقيدة فلان وفلان، وسماه ثم قال: فقالا لي بعضهما على سبيل التهديد، ولم تقرأ عقيدة السّنوسي [44] فقلت: قرأت غيرها، فقالا لي، وهلاّ قرأتها ولو قرأتها لكفتك عن غيرهما، ولو اقتصرت عليها لاستغنيت بها عن غيرها، فضرباني بمقمع من حديد ضربتين أو ثلاثا لتركي قراءتها. قال الميت للرائي: وهذا العتاب والضرب لأجل عدم قراءتي لها مع علمي التوحيد بقاطع البراهين، فكيف حال من ترك قراءة علم التوحيد أصلا.

وحدثني أيضا قال: حدثني بعض أهل مالقة[1] قال. مات لي قريب، وكان صالحا فرأيته في النوم، فسألته عن حاله فقال دخلت الجنة، فرأيت فيها سيدي إبراهيم الخليل عليه السلام يقرئ الصبيان عقيدة السّنوسي، وهم يدرسونها في الألواح وأظنها العقيدة الصغرى ويجهرون بقراءتها، ثم قال الشيخ لا شك أن هذه العقيدة لا نظير لها فيما علمت ومن اقتصر عليها، فإنها تكفيه من سائر العقائد والدواوين الكبار. انتهى.

وقد أحسن الشيخ الصالح الولي الناصح محمد بن يجبش[2] التازي حفظه الله مدحه هذه العقيدة بأبيات، ومنها عقيدته المختصرة في غاية الاختصار أصغر من الصغرى تسمى صغرى الصغرى[3] ثم شرحها

1. حاضرة مالقة من مدن الأندلس حاليا مالاغا MALAGA باسبانيا.

2. يجبُّش التازي، محمد بن عبد الرحيم بن يجبش، نحوي وعروضي توفي سنة 820 هـ كان صالحا داعيا للجهاد في غرناطة، أنظر التنبكتي في «النيل»، ص 583.

3. أنظر أحمد بابا في «النيل» ص 571، وابن مريم في «البستان»، ص 246.

في أربعة كراريس وفيها فوائد عجيبة ونكت غريبة. ومنها **المقدمة**[1] التي وضعها مبينة لعقيدة الصغرى قريبة منها في الجرم[2] وشرحها[3] في خمس كراريس وشرحه للأسماء الحسنى في عشرين ورقة يفسر الاسم ثم يذكر حظ العبد منه وشرحه للتسبيح الذي يقال دبر الصلوات تكلم على حكمته أولا ثم معناه ثم حكمة تقديم التسبيح ثم الحمد ثم التكبير والختم بالهيللة، ومنها شرحه لعقيدة موجزة للفقيه الأجل محمد الحوضي[4] حفظه الله في خمس كراريس وشرحه الكبير على قصيدة العالم الولي الصالح أحمد بن عبد الله الجزائري[5] في التوحيد وفي هذا الشرح من الأسئلة الرائقة والأجوبة الفائقة ما تقف العقول عنده مع تأويلات بديعة عن الاعتراضات الواردة. ولما رآه صاحب الأصل قال : إني لم اقصد إلى شيء من تلك الاحتمالات : ولو عرض علي الأسئلة لما أجبت في بعضها بشيء وأثنى علي الشيخ كثيرا وفرح به.

ومنها مختصره العجيب لإكمال الإكمال للشيخ الأبي[6] وسماه المكمل وزاد فيه نكتا ودررا في سفرين وقد مدحه سيدي الولي محمد بن بجبّش التازي بقصيدة.

---

1. النيل 571 البستان 546
2. أي الحجم.
3. انظر «المواهب القدّوسية»، مخطوط، ص 116.
4. لعلها واسطة السلوك لمحمد بن عبد الرحمن الحوض المتوفى سنة 910 ه انظر النيل ص 329.
5. هي لامية العلامة أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي المتوفى سنة 884 هـ أنظر النيل ص 571 البستان ص 246 الإيضاح، ج 2 ص 109 والهدية ج 2 ص 216. ومطلع القصيدة المعنية هو:
الحمد لله الواجد الأزلي سبحانه جلّ عن شبه وعن مثل.
6. صالح عبد السميع الأزهري، صاحب جواهر الإكليل في مختصر العلامة الشيخ خليل في مذهب الإمام مالك. نشرته مطبعة ابن شقرون بالقاهرة سنة 1332 هـ. وله أيضا هداية المتعبد السالك بشرح مختصر عبد الرحمن الأخضر في مذهب مالك طبعته مطبعة المنار بتونس سنة 1950.

يقـول مختصره احمد بـاب وفقه الله تعـالى: وقد أسـقطت درك هذه القصيـدة مـع القصيدة التي في مدح الصغرى ولعـلي اكتبها في موضع آخر [45] والله الموفق.

ومنهـا شرحـه عـلى إيسـاغوجي في المنطـق[1]، تأليـف إبراهيم بن الحسن البقاعي الشافعي[2] وهو شرح كبير الجرم كثير العلم ومختصره العجيب في المنطق وفيه زيادات على جمل[3] الخونجي[4].

وشرحـه عليـه وهو عجيب جـدا، لا يـرى مثله أبـدا وشرحه على قصيدة شـيخه الحبّاك[5] في علم الإسطرلاب[6] وهو شرح جليل تقف عقول الألباء عنده ومنها شرحه لأبيات تنسب[7] للإمام الإلبيري[8] في التصـوف مطلعهـا : «رأيت ربي بعين قلبي[9] وشرحـه لأبيات لبعض العارفين أولها تطهر بماء الغيب.

---

1. وذلك مصنف يتناول علم المنطق أنتظر الملاّلي المواهب ص 120 مخطوط والبستان ص 246
2. البقاعي الشافعي، البرهان، أنظر: البستان، ص 246، وإليان، معجم المطبوعات العربية، ص 163.
3. أي «كتاب الجمل في مختصر نهاية الأمل» وهو مصنف يعني بعلم المنطق لصاحبه الخونجي.
4. الخونجي، أبو الفضل محمد بن ناماور بن عبد الملك، أنظر «الكشف»،ج 1 ص 206.
5. محمد بن أحمد بن أب يحي الحبّاك التلمساني المتوفى سنة 867 هـ أنظر «البستان» ص 219.
6. لعله بغية الطلاب في علم الإسطرلاب أنظر الملاّلي المواهب ص 115.
7. قال ابن عجيبة أنها تنسب لإمام علي كرّم الله وجهه أنظر: «إيقاظ الهمم»، ص 46.
8. هو محمد بن خلف موسـى أبو إسـحاق الإلبيري من علماء إلفـيرا بالأندلس: «Elvira» له «النكـت والأمالي في النقض على الغزالي» و«الإيثار في الردّ على أئمة الأخبار»، أنظر الزر كلي، الأعلام، مج 6، ص 115.
9. وهي في الحقيقة ستة أبيات:

رأيت ربي بعين قلبي فقلت لاشك أنت أنت
أنت الذي حزت كل أين فحيث لا أين ثَم أنت
وليس لأين منك أين فيعلم الأين أين أنت
وليس للفهم فيك وهم فيعلم الوهم كيف أنت
أحطت علما بكل شيء وكل شيء تراه أنت
فمُنّ بالعفو يا إلهي فليس أرجو سواك أنت.

يقول مختصرها أحمد باب وفقه الله تعالى: قد وقفت بحمد الله على جميع هذه التواليف المذكورة والله الموفق، ومنها عقيدة أخرى كتبها لبعض الصالحين، وقد طلبه فيها، وفيها دلائل قطعية ترد على من أثبت التأثير لأسباب العادية، ومنها شرحه العجيب على صحيح البخاري[1] شرح منه جملة كافية ولم يكمله انتهى فيه إلى باب «إستبرأ لدينه»، وشرح لمشكلات وقعت آخر البخاري كالحديث في شأن جهنم أعادنا الله منها «حتى يضع الجبار قدمه»[2] وكحديث «سترون ربكم»[3]، ونحو ذلك من المشكلات في كراريس ومنها اختصاره للزركشي[4] على البخاري، ومنها اختصاره حواشي التفتازاني[5] على الكشاف[6] رأيتها بخطه وشرحه على مقدمة[7] الجبر والمقابلة لأبي محمد عبد الله بن الياسمين[8] وضعه في زمن صغره رأيته بخطه، وشرحه لجمل الخونجي في المنطق[9]، رأيت منه كراريس ولا أدري

---

1. لم يكمله السنوسي أنظر الملاّلي في المواهب ص 120.

2. عن أنس رضي اله عنه، قال ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العالمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قد قد بعزّتك وكرمك». رواه النسائي في السنن الكبرى. أنظر: السنن الكبرى لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي. تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت، 1991، مج 4، ص 411.

3. عن جرير أنه قال كنا جلوسا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة بدر فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته. رواه البخاري في صحيحه.

4. انظر النيل ص 572 والبستان ص 246.

5. أنظر «النيل»، ص 572 و«البستان» ص 246.

6. ويعني به «الكشاف» لصاحبه جار الله، محمود الزمخشري، المتوفى سنة 538 هـ.

7. مقدمة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة.

8. هو عبد الله بن محمد المتوفى سنة 601 هـ أنظر «النيل» ص 572 و«المواهب»، ص 120.

9. تقدم إيضاحه.

هـل كملـه أم لا وشرحه على مختـصر[1] ابن عرفـة[2] في المنطق حل فيه مـا صعب من كلام ابن عرفة وقـال لي: إن كلام ابن عرفة صعب جدا خصوصا في هذا المختصر، وقد أتعبت نفسي كثيرا في حله لصعوبته إلى الغايـة، وما اسـتعنت عليه إلا بالخلوة وشرحـت جلّه ولم أكمله لكثرة الأشغال وضيق الحال. انتهى.

ومنها شرحه على أرجوزة ابن سينا في الطب[3] عجيب رأيته بخطه ولم يكملـه، وقد كان اشـتغل بعلم الطب في آخـر عمره كثيرا ما يعتني بعلـم الطب ومطالعة كتبـه وأدركه مرض الموت وهو مشـتغل به ولا يبعـد أن يكـون وقـف على ما ذكره شـيخه الثعالبـي[4] أنـه رأى النبي ﷺ قائلا وواعدا من اشتغل به أن يسأل الله تعالى أن يجعله في جواره أو قال في درجته ﷺ.

ومنها اختصاره لكتب في القراءات السـبعة وشرحه على الشـاطبية الكبرى[5] ولم يكمله، رأيته بخطه وشرحه للوغليسـية[6] في الفقه كتب منه يسيرا أو لم يكمله.

---

1. المختصر الشامل في التوحيد،أنظر النيل 572 والبستان ص 246.

2. هـو العلامـة بـن عرفة الورغمي، الشـهير المتوفى سـنة 803 هـ مجتهـد ومتكلم وصاحب مدرسـة بجامع الزيتونة الشـهير تتلمذ عليه كبارٌ في العلم من أمثال البرزالي والأبي وغيرهم، أنظـر محمد الهـادي العامري تاريخ المغرب العربي في سـبعة قرون بين الازدهـار والذبول من القـرن السـابع إلى ختام القـرن الثالث عشر، الشركة التونسـية للتوزيـع، تونس 1974، ص 160 - 172.

3. لم يكمله أنظر المواهب ص 120النيل ص 572 والبستان 246.

4. أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي الجزائري المالكي المتوفى سنة 875.

5. للقاسـم بن فيرة الشـاطبي المتوفى سنة 590 هـ لم يكمله أنظر النيل ص 572 و«المواهب» ص 120 و«البستان»، ص 246.

6. الوغليسـية في الفقه لصاحبها عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي المتوفى سـنة 786 هـ أنظر «المواهب»، ص 120 و«النيل»، ص 572 و«البستان»، ص 246.

ونظمه في الفرائض مطلعه: الحمد الله ثم الباعث في الأرض وخير وارث عمله في صغره ورأيته بخطه ولا أدري [46] هل أكمله أم لا، ومنها اختصار «رعاية المحاسبي»[1] واختصار «الروض الأنف» للسهيلي[2] لم يكمله، واختصار تأليف الساحلي[3] المسمى «بغيه السالك في أشرف المسالك» وشرحه «للمرشدة»[4] وشرحه «للأجرومية» سماه «الدر المنظوم في شرح قواعد ابن أجروم»[5] ولم يكمل رأيته بخطه.

وفي أوله قال الفقير لرحمة ربه محمد بن يوسف السّنوسي الحسني الشريف القرشي لطف الله به صحّ من خطه، ومنها شرحه يثني (على)[6] بعض الصالحين في التصوف مطلعها: إن شمس النهار تغرب بالليل، ومنها شرحه على «كتاب نهج طوالع البيضاوي»[7] بل أصعب لبعض المشارقة، ولم أر هذا الشرح، وإنما أخبرني به الشيخ، وقال لي هذا الكتاب على نهج البيضاوي نقطة من بحر هذا الكتاب، وكلامه في غاية الصعوبة.

---

1. المحاسبي، الحارث بن أسد المتوفى سنة 581 هـ، من كبار العارفين وأهل الطريق عاصر بن حنبل وكان بينهما وحشة فرأى منه ما غير عواطفه نحوه وقال فيما مفاده أنه ما رأى مثل القوم أي أصحاب المحاسيبي ولا سمع مثل كلام أصحاب الحقائق هؤلاء انظر سيرته في «جامع كرامات الأولياء» ليوسف بن إسماعيل النبهاني، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار الفكر 1993 ج 2، ص17.
2. السهيلي عبد الرحمن بن عبد الله المتوفى سنة 581 هـ النيل 572 البستان 246.
3. انظر «المواهب» ورقة 120.
4. أي «مرشدة الطالب إلى أسني المطالب في الحساب» لصاحبها ابن الهائم أحمد بن محمد المتوفى سنة 815 هـ أنظر النيل ص 571.
5. انظر «النيل» 572 و«البستان»، ص 246.
6. حرف الجر هذا سقط سهوا في المخطوط.
7. انظر: «المواهب»، ص 121.

قال: وشرحته بكلام صعيب[1] إلا أنه أبين من المشروح، ولما شرحته رفعه بعض الطلبة إلى بعض من عارضنا من العلماء، قال: وأوصيت الطالب أن لا يقول لأحد أنيّ ألفته. قال: فقال الطالب للعالم يا سيدي أحب أن أقرأ عليك هذا الكتاب المشرقي مع شرحه فقال له العالم وهل شرحه أحد قال له نعم فأخرجه وأراه له وظن العالم أن هذا الشرح قديم ولم يعلَم بأنه شرحي قال: فقرأ الطالب عليه شيئا من هذا الشرح فقال له العالم: أعد علي قراءته، فأعاده فلم يفهمه العالم، فقال هذا الشرح لا يفهمه إلا الذي وضعه وأنا لم أفهم كلام شارح هذا الكتاب بالله يرحمه أو كما قال وقد سمى الشيخ لي هذا العالم، ولا يسعني تعيينه، ولا شك أن هذا العالم عارف بالعلوم النقلية والعقلية. حضرت مجلسه كثيرا، فما رأيت أحفظ ولا أذكى منه ومع ذلك لم يفهم كلام الشيخ وقد رأيت بخط الشيخ عدةّ مؤلفاته فذكر من جملتها هذا الشرح.

فقال ومنها: شرح على جواهر العلوم للعضد في علم الكلام على طريق الحكماء[2]، وهو كتاب عجيب جدا في ذلك الفن إلا أنه صعب متعسر جدا على الإفهام أهّل الله تيسيره. انتهى من خطه.

من خطه ومن هذا تعلم أن العلوم منح إلهية ومواهب اختصاصية لا أثر فيها لحفظ ولا فهم ولا ذكاء عقل ولا اجتهاد، وإنما هو كما قال مالك: نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء.[3]

---

1. أي صعب.

2. لصاحبه عضد الدين عبد الرحمن بن احمد بن عبد الغفار الإيجي المتوفى سنة 756 هـ أنظر «معجم الأعلام» للزركلي مج 5،ص 66.

3. ورد ذلك فيما روي عن مالك قوله: ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم نور يضعه الله في القلوب، أنظر: ابن عبد البر، «جامع بيان العلم»، ص 23 والقاضي عياض في «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» ،من تحقيق عبد القادر الصحراوي ونشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، 1983، ط 2، مج 2، ص 60.

ومنها تفسيره العجيب للقرآن رأيت منه بخطه ثلاثة كراريس ونصفاً في القالب الكبير.

انتهى فيه إلى قوله: ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾[1] وفيه فال حسن بالختم على الخير وكان أراد في آخر عمره أن ينقطع ويتفرغ لهذا التفسير والخلوة بمولاه تعالى، فكان ما أراد من أمر الله.

ومنها تفسيره لسورة (ص) وما بعدها من السور رأيت منها [47] كراريس بخطه ولا أين ما انتهى إليه.[2]

فهذا ما علمت من تآليفه مع ما كتبه من أجوبة المسائل التي ترد عليه في جلّ الأوقات، وبعضها يُعدُّ من التآليف لكبرها واستقلالها مع ما كتب من المواعظ والوصايا والرسائل والحجب ونسخ من الكتب.

وقد رأيت عنده كثيرا من الكتب بخطه رحمه الله مع ذلك أعلم من حاله من شغله في جلّ الأوقات بكثرة الأوراد والخروج للخلوات وتعليم العلم النافع في مجلسه ليلا ونهارا أو قضاء الحوائج في أكثر الساعات وكان من عادته إذا صلى الصبح في مسجده وفرغ من ورده اشتغل بإقراء العلم إلى وقت الفطور المعتاد، ثم يخرج من المسجد، ويقف مع الناس ساعة عند باب داره ثم يدخل فيصلي الضحى فيبقى فيها مقدار قراءة عشرة أحزاب، ثم يشتغل بالنظر والمطالعة إن كان النهار طويلا وإلا فربما زالت الشمس وهو في صلاة الضحى فإذا أزالت الشمس ترك النسخ والمطالعة ويخرج إلى الخلوات ولا يرجع إلا للغروب أو يبقى في داره فيتوضأ ويصلي أربع ركعات ثم يخرج لمسجده يصلي بالناس الظهر، فإذا فرغ من الذكر تنفل أربع ركعات

---

1. البقرة الآية 4.
2. أنظر «النيل»، ص 572، و«البستان»، ص 247.

ثم يُقرئ. فإذا دخل وقت العصر قام فتنفل بأربع، ثم يصلي العصر ثم يُقرئ إن شاء أو يخرج لباب داره فيدخل فيشتغل بالوِرْد إلى الغروب ثم يخرج لصلاة المغرب ويصليها ويتنفل بعدها فثلاث تسليمات ويبقى بها للعِشاء أو قربها فإذا صلى العِشاء قرأ ما شاء الله أو يخرج لداره وينام ساعة ثم يشتغل بالنظر أو بالنسخ ساعة ثم يتوضأ ويصلي ويبقى فيها أو في الذكر إلى طلوع الفجر هذا حاله في الأكثر لا سيما في أواخر عمره مع عدم طول عمره، فإنه أخبرني قبل موته بعام أو عامين أن سنة خمس وخمسون سنة والله أعلم.

يقول مختصره أحمد باب وفقه الله تعالى: رأيت مُقيّدا عن بعض العلماء أنه سأل سيدي محمد الملاّلي مؤلف هذا الكتاب عن سن الشيخ السّنوسي، فقال له مات عن ثلاث وستين سنة فتأمله.

رجع: وقد بارك الله له في عمره، فحصّل من التصانيف والخصال الحميدة والمعارف الربّانية، ما لا يمكن جمعها لمن طاله عمره وعظم اجتهاده إذ لمّا اشتغل بالمراقبة كُفي كل مؤونة، وسهُل عليه كل عسير، فأدرك ما لا يدخل تحت العبارة وبالله التوفيق.

الباب الخامس

في ذكر أوراد حضّ عليها أصحابه وأدعية حسنة كتبها بخطه

الحمد الله، ومن الأوراد التي ينبغي [48] للإنسان ملازمتها إذا ركع الفجر يقول على حالته ثلاثا اللهم إني أسألك بوجهك الكريم عافيتك وتمام نعمتك، ثم يقول أيضا ثلاثا: اللهم ربّ جبريل وميكائيل واسرافيل وسيدنا محمد ﷺ أعوذ بك من حرّ النار ومن عذاب القبر ثم يقول إحدى وأربعين مرة يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا الله، يا الله يا لله، لا إله إلا أنت أسالك أن تحيي قلبي بنور معرفتك أبدا سرمدا يا الله يا لله يا لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله.

وذكر أن الدوام عليه سبب في حسن الخاتمة بفضله تبارك وتعالى ثم يقول بعدها مائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله. فإذا صلى الصبح وفرغ من توابعها قال مائة مرة ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾.[1]

اللهم صلّ عليه وعلى آله ثم يقول مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين ثم يقول مائة السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ثم يقول

---

1. من سورة الأحزاب الآية 56.

مائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ثم يقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر واستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته. ثم يصلي على النبي ﷺ ألفا قائلا إن شاء، اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد من الرحمة وعلى آله وصحبه عدد ما أحاط به علمك ثم يصلي الضحى ثماني ركعات، فإن شغله شيء عن إتمام ورده غدوة كمّله بقية نهاره ولو من الليل وليدم عليه يرى له بركة عظيمة وبالله التوفيق. انتهى.

من خطه رحمه الله وما ذكره من حسن الخاتمة المشار إليه هو ما نقل عن الحكيم الترمذي قال : رأيت رب العزة في المنام نحوا من ألف مرة أسأله حسن الخاتمة فيقول لي قل يا حي يا قيوم[1] إلى قوله يا الله يا الله يا الله أربعين مرة بعد طلوع الفجر وقبل صلاة الصبح. وكان رضي الله عنه كثيرا ما يكتب لأصحابه هذه الكلمات، ونصه: ومما يستحسن في جواب الملكين الكبيرين في القبر نسأله سبحانه الثبات بالقول الثابت في الدنيا والأخرى أن يقول في جوابها : الله ربّنا وحده لا شريك له وسيدنا محمد ﷺ نبينا ورسولنا بعثه الله سبحانه بالآيات البيّنات والبراهين الواضحات إلى الثقلين كافة فأظهره الله [49] تعالى بفضله على الدين كله ولو كره المشركون رضينا بالله ربّا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد ﷺ نبيا ورسولا لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ على هذه الشهادة حييت وعليها مت وعليها أبعثُ بفضل مولانا جلّ وعلا بغير حول مني ولا قوة ولا استحقاق والحمد الله رب العالمين والشكر لله رب العالمين، فليكرر العبد حفظ هذه الكلمات حتى تجري منه

1. لم نوفق في العثور على مرجعية هذا القول اللهم سوى الحديث الذي رواه الترمذي قال: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا كربه أمر قال «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث».

مجرى الدم واللحم لعل الله تعالى يطلق اللسان بها في جواب الملكين في القبر والله سبحانه المستعان وبه التوفيق وعليه التكلان.[1] وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله عدد ما خلق الله وعدد ما هو خالق. انتهى.

ومن الدعوات التي كتبها الشيخ رضي الله عنه إلى أبي عبد الله[2] بعد أن بعث للشيخ يطلب منه الاجتماع في أي موضع شاء الشيخ؛ فامتنع الشيخ فلما أيس منه بعث إليه ثانيا وطلب منه أن يكتب له دعوات يتحصن بها من كل سوء؛ فكتب له بعد الحمد الله والصلاة ما نصه: هذه دعوات وأمور ومن لازمها حُفظ من شرّ الدارين بفضل الله تعالى وأحوج الناس إلى لزومها من نّصبه الله لكافة الخلق ومنهم الطيب والخبيث والمحبّ والمبغض فلا سلامة له إلا باللجاء[3] إلى المولى العظيم تبارك وتعالى على الدوام ولزوم طاعته وتقواه بقدر الاستطاعة فمن ذلك أن يدعو صبيحة كل يوم ومساء بهذه الدعوة ثلاثا اللهم أحرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بكنفك الذي لا يرام وارحمنا يا مولانا بقدرتك علينا ولا تهلكنا وأنت رجاؤنا اللهم إني استودعك ديني ونفسي وأهلي وولدي ومالي إنه لا تخيب ودائعك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

وقد روي أن عيسى بن مسكين[4] كان ركب الحج فيطوف علينا ويقرأ هذا الدعاء فخرج رجل ذات ليلة من الركب لحاجته، فلما رجع

1. أي التوكل.
2. أي الملاّلي.
3. أي اللجوء.
4. هو عيسى بن مسكين قاضي القيروان وفقيه المغرب، أخذ عن سحنون والحسن بن مسكين كان إماما ورعا خاشعا، متمكنا من الفقه والآثار ومستجاب الدعوة، أكره على القضاء في عهد الأغلبي، إبراهيم، فتولاه دون أجر، وكان يركب حماره ويسقي الماء لأهله، توفى قال محمد بن جرير توفي سنة 284هـ. أنظر: الحافظ الذهبي، «سير أعلام النبلاء» مج 7، ص 333 وابن فرحون في الديباج المذهب بمعرفة أعيان المذهب،من تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العالمية 1996، ص 280.

وجد سورا في السماء قد أحاط بالركب كله بدار الرجل؛ فلم يجد مدخلا فبات خارجا فلما أصبح أخبر عيسى بن مسكين بذلك، فذكر له أنه لا ينام حتى يطوف ويقرأ هذا الدعاء.

ومما ينبغي ملازمته أول الليل والنهار قراءة سوراً أوصى بها الأولياء قديما وحديثا، ويحفظ قارئها من شر الباطن والظاهر وهي إذا الشمس كورت[1]، واقرأ باسم ربك[2]، وإنا أنزلناه[3]، وإذا زلزلت[4]، ولإيلاف قريش[5]. وإذا فرغ منها قرأ [50] الإخلاص والمعوذتين ثلاثا ثلاثا، ثم يدعو بهذا الدعاء. وقد علمه النبي ﷺ لبعض أكابر الأولياء في النوم للوقاية. وهو؛ اللهم اكفنا شرّ كل ذي شرّ وحُسد كل ذي حُسد وسحر كل ذي سحر وارزقنا الاستقامة حتى لا يضرنا أعداؤنا في الظاهر والباطن وآسترنا بسترك وارحمنا بحمايتك التي لا يقدر أحد على زوالها وارزقنا إتباع سنة نبيك سيدنا محمد ﷺ وملّة أبينا إبراهيم خليلك عليه السلام وارزقنا ما رزقت الخواص من عبادك ولا تجعل خوفنا ولا رجاءنا إلا فيك وأملأ قلوبنا بحبك وحب نبيك سيدنا محمد ﷺ تسليما. وفي هذا الدعاء بعض زيادة وتعيير لأني نقلته من حفظي.

من الأدعية المقبولة اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ اللهم لا مضل لمن هديته ولا هادي لمن أضللته ولا مشقي لمن أسعدته ولا مسعد لمن أشقيته ولا معز؛ لمن أذللته ولا مذل لمن أعززته ولا رافع لمن خفضته ولا خافض لمن رفعته اللهم أهدنا لما أمرتنا

1. سورة التكوير.
2. سورة العلق.
3. سورة القدر.
4. سورة الزلزال.
5. سورة قريش.

ووف لنا يا مولانا ما ضمنت لنا من خير الدنيا والآخرة وقُدّ يقيننا فيما رجوتنا وانصرنا على أعدائنا في الباطن والظاهر وأسألك اللهم ما سألك به خليلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام من النور واليقين وما سألك به سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ من النظر والتوفيق إنك على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

وهذا دعاء شريف مستجاب عظيم القدر بنفسه بفضل الله تعالى. ومن خاصيته أنه إذا دعا به الإنسان ثم دعا بعده بما شاء، فإنه يستجاب له وقد أوصى به النبي ﷺ بعض الأولياء في النوم وأن يقدمه على كل ما يريد أن يدعو به ومن المجرّب لدفع الأعداء مع سهولته التزام قراءة ألم نشرح[1] وألم تر[2] في ركعتي الفجر مع الفاتحة، فإن من لازمه لم تصل إليه يد عدو، وقال الغزالي[3] مجرب بلا شك.

ومن المجرب القريب أيضا التزام الإنسان ثلاثا بعد العشاء والصبح: اللهم إني استودعك ديني ونفسي وأهلي وولدي ومالي في خزانة من خزل بسم الله الرحمان الرحيم بابها لا اله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ومفتاحها لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وان كتبها مع ذلك ووضعها في جيبه كان أكمل وأحسن [51] وبالله التوفيق.

ومن أحسن ما يتحصن به وأسهله، وهو مجرب بالعيان كما أخبره به الصادق ﷺ: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثا صباحا ومساء وهو صحيح مجرب بلا شك فجمع عليه عند أهل العلم مع التصديق

---

1. سورة الانشراح.
2. سورة الفيل.
3. أنظر الغزالي.

وعدم الشك فيه وقد اقتصر عليه بعضهم ولازمه غدوة وعشية. وكلما قام وجلس فحفظ من كل محنة وأوصى به بعض الأولياء بعض الملوك ممن يكثر زيارته والتبرك به، فلازمه الملك فطال ملكه سنين في هدنة وعافية والله ولي التوفيق.

ومن القريب المجرب لدفع كل آفة وقمع كل عدو وكفاية كلّ هول وشر وينفع ملازمه طائعا أو عاصيا أن يقول كل صباح ومساء أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم سبعا ثم يقرأ أثره ﴿لقد جاء كم رسول﴾[1] الخ، ويكرر قوله تعالى فان ﴿تولوا﴾[2] الخ سبعا فمن قاله في صباحه حفظ من كل سوء يومه وفي مسائه حفظ ليلته بلا شك وهو من الذخائر النفيسة جدا.

ومما ينبغي أن يقوله عند خروجه من بيته: «بسم الله آمنت بالله وتوكلت على الله» واعتصمت بالله وفوضت أمري إلى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، فان الله تعالى يعصمه ويحفظه إلى أن يرجع إلى بيته، ثبت في الأحاديث الصحاح وينبغي أن يكررها ثلاثا. انتهى.

من نسخة صححت من خطّه ووجدت بخطه قال الشيخ أبو الحسن[3] «إن أردت أن تغلب الشرّ كله وتلحق الخير كله ولا يسبقك سابق وإن عمل ما عمل فقل: يا من له الأمر كله أسألك الخير كله وأعوذ بك من الشر كله، فإنك أنت الله لا اله إلا أنت الغفور الرحيم أسألك بمحمد ﷺ الهادي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ومغفرة تشرح بها صدري وتضع

1. سورة التوبة، الآية 128.

2. وتكملتها (و إن تولوا فقل حسبي الله لا اله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) سورة التوبة، الآية 129.

3. يعني به التالوتي الذي تقدم ذكره.

بها وزري وترفع بها ذكري وتيسر بها أمري وتنزه بها فكري وتقدّس بها سرّي وتكشف بها ضرّي وترفع بها قدري، إنك على كل شيء قدير.

ووجدت بخطه أيضا من كانت له حاجة إلى الله أو في كرب أو هم أو نزلت به مصيبة فليتوضأ في جوف الليل ويصلي ركعتين ويقلك «اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تحل بها عقدتي وتفرّج بها كربتي وتنقد بها وحلتي وتقضي بها حاجتي ألف مرة فرج الله عنه ما كان به وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله.

ووجدت بخطه أيضا قال ﷺ لأصحابه: «تريدون أن يجعل الله بينكم وبين إبليس ردما كردم ياجوج وماجوج؟ قالوا نعم، قال اقرأوا إنا أنزلناه[1] إلى آخرها بعد المغرب والصبح ثلاثا قبل أن تنهضوا من صلاتكم ثم قولوا يا الله يا الله يا صاحب القدرة [52] فرج عني همي وكربي» وقيل من كتبها وغسلها لم يألم جوفه أبدا، فان غسل جلده بمائها أو من سرابيل القطران، وإن رشّ بها مصلاه تقبلت صلاته متى صلى فيه، ومن قرأها عند نومه إحدى وعشرين مرة خلق الله نورا يسع الهواء ثم يبعث ملك الموت بتسعة آلاف ملائكة يستغفرون له إلى الصبح، ومن قرأ هذه العِدّة بعد الزوال قبل الظهر لم يمت حتى يراه ﷺ وأهل بيته. وفي الحديث: من قرأها مائة مرة أدخل الله اسمه الأعظم في قلبه ويدعو بما شاء تقض حوائجه وذكر أنه من كتبها وشربها لم يتألم أبدا وخرج من جسده كل داء وضر ومن قرأها ألف مرة كان ممن يرى الله تعالى في دار السلام ولم يمت حتى يرى سيدنا ومولانا محمدا ويبشّره أنه ناج من نار جهنم. وذكر أنه ما شكا أحد إلى النبي ﷺ شكوى في دين أو دنيا إلا قال له «اقرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر» يأتك الفرج وذكر

---

1. سورة القدر.

أن من أخذ بناصية ولده أو زوجته أو ابنته أو أحد قرابته فقرأها عليهم فان الله تعالى يريه فيهم ما أحب. انتهى من خطه.

ووجدت أيضا بخطه ما نصه: سبحان الدائم الباقي سبحان الحي القيوم سبحان الله وبحمده سبحان الملك القدوس ربّ الملائكة والروح سبحان الأعلى العليّ سبحانه وتعالى. قيل من قاله كل يوم لم يمت حتى يرى منزلته من الجنة أو يُرى له. وذكر ابن حبيب[1] وزاد سبحان الوارث سبحان الملك القدّوس قال ويرى النبي ﷺ في نومه وقد جرّبه غير واحد فجاء على ما قاله. انتهى من خطه.

يقول مختصرهُ أحمد باب وفقه الله تعالى: قد وقفت على هذا التسبيح بدون زيادة ابن حبيب في الحديث مرفوعا أنظره في الجامع الكبير[2] للسيوطي رحمه الله.

رجع: ومن خطه أيضا قال ومما جرب فصحّ إن المرأة في أول شغل رحمها بالحمل يضع يده على بطنها ويقول اللهم ارزقني من هدا الحمل ذكرا أسميه محمدا تبركا بنبيه ﷺ وإحياءا لاسمه فان ذلك يكون إن شاء الله ومن نزلت به ضغطة فليقل بعد صلاة الصبح مائة بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يا قديم يا دائم يا فرد يا وتر يا صمد ويدعو بما يريد فتقضى حاجته إن شاء الله. انتهى من خطه.

يقول مختصره وفقه الله: هذا هو دعاء مقاتل[3] المعروف وفيه زيادة يا أحد ويا.....[4] والله أعلم.

---

1. يعني به التنوخي.
2. الجامع الكبير للسيوطي.
3. لعلّه مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي المتوفى سنة 150 هـ وهو من أعلام المفسرين وله «الردّ على القدرية»، أنظر الزركلي، مج 7، ص 281.
4. كذا في الأصل.

رجع: ومن خطه أيضا عن روْح ابن حنش الصنعاني[1] عن أبيه عن جده قال: يا بني إذا داهمكم أمر أو أكربكم فلتبت طاهرا على فراش طاهر في لحاف طاهر ولا امرأة معك ثم لتقرأ [53] سورة الشمس والليل سبعا سبعا ثم لتقل اللهم اجعل من أمري هذا فرجا ومخرجا فإنه يأتيه فإنه آت في أول ليلته أو الثانية أو الثالثة أو الخامسة وأظنه قال أو السابعة. يقول له المخرج لما أنت فيه كذا وكذا واستعمله بعضهم فأتاه آتيان التفت إليه أحدهما أو كلاهما فقال له فكيف لو ضممت إليهما والتين والزيتون. انتهى.

يا الله القريب الحفيظ الرءوف، يا الله الحي الحليم العظيم الرءوف الرحيم يا الله الحي القيوم القائم على كل نفس بما كسبت حُلْ بيني وبين عدوّي، من دعا بهذا الدعاء حال الله بين قلبه وبين وساوس الشيطان الرجيم. انتهى.

ويجلب الرزق من واظب على قراءة الواقعة وسورة الليل وألم نشرح لك صدرك فان الله ييسر أمره ومن صلّى على النبي ﷺ خمس مئة مرة كل يوم فان الله تعالى يرزقه غنى النفس الذي لا فقر معه.

وتقول لقضاء الحوائج: اللهم إني أتوسل إليك بنبيي محمد نبي الرحمة ﷺ يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك ليقضي لي حاجتي اللهم شفّعه فيّ يا ربّ ثم تذكر حاجتك فإنها تقضى بإذن الله. انتهى.

---

1. لعله روح بن الحارث بن حنش الصنعاني الذي روى عن أبيه أنظر ابن حاتم الرازي، في «الجرح والتعديل» مج 3، ص 294 ومج 3، ص 497، وبخصوص حنش الصنعاني فقد يتعلق الأمر بحنش بن عبد الله بن عمر بن حنظلة السبئي الصنعاني المتوفى سنة 100هـ كان من أصحاب علي ثم انتقل بعد مقتله إلى مصر وغزا أفريقية مع رويفع بن ثابت والأندلس مع موسى بن نصير، روى عن رويفع بن ثابت وروى عن فضالة بن عبيد الأنصاري، أنظر الزركلي، لأعلام، مج 2، ص 286 و ابن الأثير في «أسد الغابة»، ج 1، ص 373 و 897.

يقول مختصره وفقه الله تعالى أحمد باب: قد ذكر هذا في الشفا لعياض[1] في قصة المرأة والله أعلم.

ومن أراد رؤية النبي ﷺ في المنام فليصلّ ركعتين يقرأ في كل ركعة الفاتحة مرة والإخلاص مائتين؛ فإذا فرغ من صلاته قال: ثلاث مرات يا لله يا رحمان يا محسن يا مجمل يا منعم يا متفضل أرني وجه نبيي محمد ﷺ، فانه يراه إن شاء الله تعالى. انتهى.

هذا آخر ما لخصته من الأدعية، وبالله التوفيق.

---

1. القاضي عياض اليحصبي.

الباب السادس

في وفاته وما اتفق في مرضه

كان رضي الله عنه كثير الانقباض لا يكاد ينبسط مع أحد ويشقّ عليه الخروج إلى المسجد للإقراء وللصلاة ولا يخرج في بعض الأيام لمن ينتظره من الناس في المسجد للصلاة، ولما مرض انقطع عن المسجد، فصار الناس تتغير قلوبهم لعدم رؤيته في المسجد، فأُخبر بذلك، فصار يتكلف مجيء المسجد للصلاة لأجلهم، فإذا رأوه فرحوا وسُرّوا برؤيته. فأتى يوما باب المسجد، فلم يقدر على الصعود، فقال: يا ربّ كيف أطلع للمسجد فهمّ بالرجوع، ثم بدا له حزن الناس برجوعه[1]، فتكلف الصعود وصلى بهم العصر يوم الجمعة ولم يُكمل إلا بشقّ النفس، وهي آخر صلاة صلاها في المسجد ثم رجع لداره، ثم إنه غاب في صبيحة السبت عن حسّه[2] النهار [54] كله، ثم كلمته زوجته: «ما الذي غيبك عن حسّك»؟ قال: «رأيت الملائكة قد صعدت بي إلى السماء الدنيا، وسمعت قائلا يقول اترك ما أنت عليه فقد قرُب أجلك» ثم قال لها لا أستطيع أن أفسر لك بقية ما رأيت، فقالت له ما الذي أمرت بتركه؟ قال لها تركت حبس ذلك المسجد لا آخذ منه شيئا أبدا ثم لازم فراشه من ذلك حتى توفي ومرضه عشرة أيام وفي كل ساعة يتقوى ويتضاعف، مع ثبات عقله لا

1. أي إلى بيته.
2. أي أُغمي عليه.

يئن ولا يتأوه بالكلية[1]؛ ثم يسلّم على من سلّم عليه أو يشير. فلما قرُب أجله بثلاثة أيام، ودخلته سكرات الموت، رجع يتأوه بالقهر ويميل يمينا وشمالا وقد احمرّت عيناه ووجنتاه وشفتاه واشتدّ نفسه، فبقي في النزع ليلة السبت إلى بعد العصر من الأحد، فكان ابن أخيه يلقّنه الشهادة مرة بعد مرة فالتفت الشيخ إليه وقال له بكلام ضعيف: «وهل ثمّ غيرها»؟ يعني أنه ليس بغافل عنها بقلبه، وإن لم ينطق بها باللسان فاستبشر مع ذلك وعرفوا ثبات عقله وكانت بنته تقول له: وتمشيء وتتركني فقال لها: الجنّة تجمعنا عن قريب إن شاء الله تعالى.

وكان في يده سبحة، فسقطت لشدة مرضه، فبقي كذلك مدة ثم التفت إليها فلم يجدها في يده، فقال: مشت العباد يا محمد يعني نفسه، وكان يقول عند موته رضي الله عنه، نسأله سبحانه أن يجعلنا وأحبتنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها. وتوفي بعد العصر من يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأخيرة عام خمسة وتسعين وثمانمائة.

أخبرتني والدتي رحمها الله عن بنته أنها شمّت المسك في البيت بنفس موته وشمته في جسده أيضا. نسأله سبحانه أن يقدّس روحه وأن يسكنه من أعلى الفردوس فسيحه، وأن ينفعنا به في الدنيا والآخرة، وأن يجمعنا معه بفضله في أعلى المنازل الفاخرة بجاه سيدنا ونبيينا محمد ﷺ وعلى آله عدد خلقه ورضي نفسه وزنة عرشه.

---

1. أي مطلقا.

الباب السابع

في شعره وفيما مدح به رحمه الله

وكان يقول: إنه يصعب عليه الوزن غاية الصعوبة ولا يقدر على الشعر إلا بتكلف مع معرفته بفن العروض غاية وربما ينشد القدر اليسير، فمما أنشده في صغره قوله:

أيا مصطفى من هاشم لم يماثل
وبدا له الكمال فوق التطاول
وعُبيدك راح في الذنوب شبابه
وضاقت عليه الأرض ليس بحامل

إلى أن قال:

وكيف وما الفخار إلا فخاركم
وما العزّ إلا عزّكم في المحافل
بكم صارت الركبان تخترق الدُجى
وتقطع بيضاء وذات الجنادل[1]

1. الصخور الكبيرة.

ومن شعره:

إليك رسول الله قصد رسالتي

وجسمي حبيس في وثاق خطيّتي [55]

جنيت ذنوبا ما نظرت عواقبا

ركبت أمورا طوقتني بليّتي

فألزمت مكثا في تلمسان وإلهاءً

وروحي وتربي الوصل قلبي بطيبتي [1]

إذا حركتني لوعة الحب ردها

قيود أحاطت بي وهدّت عزيمتي

فيا خير مرجو لكل عظيمة

أغثني بجاه منك يجلو بصيرتي

وكن لي شفيعا في ذنوبي جميعا

وحصنا منيعا محرزا حسن حالتي

وكن لي إينا [2] من قبيح أمانتي

ونصرا إذا حملت ما فوق طاقتي

رغبت بك المولى وأنت مشفّع

لديه سرفع على كل رتبتي

وقد ملكت المفاخر كلها

فصرت لها فردا عديما لشركتي

---

1. أي طيبة المدينة المنورة.

2. ضرب من الشجر الحجازي ولعل وروده كناية عن الستر، انظر ابن المنظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم المصري الأفريقي، «لسان العرب»، دار صادر بيروت، 1997 ج 1 ص 147.

فيما معدن الأنوار منك تقسمت

ويا ملجأ المخلوق في يوم حسرتي

ولم تهتبل حقا بنفسك لحظة

تبارك من حلّاك أحسن حليتي

فلله ما أعلى مقاما تقومه

ولله ما أدناك من كل رحمة

فيا رحمة ها أنا عائذ بجاهكم

من كل خطب ومحنة

إلى غير ذلك مما أنشد رحمه الله تعالى، وكتب بعض علماء الجزائر إليه بما نصه:

كتبت إلى شيخ العلا والمفاخر

إمام أصول الدين قطب الأواخر

كذلك إمام في العلوم بأسرها

قد انتشرت في الناس حتى الأصاغر

عنيت أبا عبد الإله محمد

سنوسي تلمسان إمام الأكابر

كتبت إليكم من بلاد الجزائر[1]

لتدعو لي بذلك خير الذخائر.

---

1. يعني بها الجزائر العاصمة.

وقد مدحه بعض علماء المشرق بقصيدة خمسها وهي هذه:

تـلألأ في الـقـرطـاس بـــدُنّ الجـواهـر
فـضـاع لدينا منه عـــرف العنـابـر
فقلت لجـلاسي ومـــن كـان حـاضرا
أفـاح نسيم الـــورد بيـن الأزاهـــر
أعـطـر سليمى فـاح في حـي حاجر

إلى أن قال:

فـقـال مجيبي اسـمـع مـقـالـة صـادق
يبيـن أشـكـــالا بـقـــول مطابـق
فـمـا فـيـه مـن ورد ولا مـسـك فائق
نعم عـرف كتب مـن محـب لشائـق
بُـعـيـد صـلاة الـعـصر مـرّ بـنـاظـري
أتعجـب إن طـاب النـدى ولعلـه
[56] ومـا مسّه طيب ولا حـلّ حوله
فلـم لا يطيـب المنتـدى حـين حلّـه
كـتـاب إمـام مـا حـوى الـعـرب مثله
زكـــي تـقـــيّ حـــائـز للمفـاخـر
وذلـك ابـن يـوسـف الـسّـنـوسي محمد
أقـــام لـه في عـنـصر المـجـــد محتد

وليس له شبه على الأرض يوجد

شريف عفيف عالم ثم مرشد

من العلماء العاملين الأكابر

متى يأته أهل الضلالة يهتدوا

وإن جاءه أهل الغواية يرشد

وان آفة أهل الشقاوة يسعدوا

حوى شرفا بالعلم والدين سيد

به الغرب أضحى قصد كل مذاكر

حباه من الحب الإله بمحضه

وأعطاه كلاما حبانا ببعضه

فمن أمّه من طالب العلم يرضه

فيا ليتني يمّمت ركبي لأرضه

لأحظى بسرّ للقبائح ساتر

أيا سيدي إني ابتليت ببعدكم

سلوا الله يحبوني بتيسير قصدكم

لأُسقى بكأس من سُلافة[1] رشدكم

وعلم يزيل الريب عن لب عبدكم

أيا سيدي من لي بما في ضمائري

إلى آخرها.

---

1. سلافة الكأس أي روحها وأحسن ما فيها.

وقال الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحوضي[1] في رثائه، وهو أول من رثاه:

ما للمنازل أظلمت أرجاؤها
والأرض رجّت حين خاب رجاؤها
وأتى عليها النقص من أطرافها[2]
وتراكمت وتعاظمت أرزاؤها[3]
رزء عظيم خطبه ومصيبة
لم ندر يا للقوم كيف عزاؤها
فُقِد السّنوسيُ الإمام محمد
وهو ابن يوسف هدّ منه علاؤها
قد كان بحرا للعارف زاخرا
شهدت له بمقامه علماؤها
بثّ العلوم فبيّن أسرارها
فانزاح عنها حين بث غطاؤها
ودعا إلى التوحيد دعوة مخلص
والى الشريعة فاستنار ضياؤها

---

1. الحوضي، محمد بن عبد الرحمن التلمساني المتوفى سنة 910 هـ فقيه وأصولي ومتكلم وناظم له منظومة العقائد أنظر كحالة، «معجم المؤلفين»، ج 10، ص 139، وابن مريم في «البستان»، ص 252
2. يبدو تأثر الشاعر بالأسلوب القرآني واضحا فهو اقتراض من الآية (إنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها.)
3. جمع رزء وهو المصاب الجلل.

فهو الـذي ورث النبي فأصبحت
علـل الضـلال بـه واسـتفيد دواؤهـا
وهـو الـذي تـبع النبي وصحبه
فانجـاب[1] عـن سـبل الهـدى ظلماؤهـا
يـا أيهـا الـنفـس المـقـدسـة التي
لبقائها المحـمـود كـان فناؤهـا
يـا أوحـد العلمـاء يـا علمـا بـه
كـل العلـوم بـدت لنـا أنحـاؤها
[57] يـا درّة الزهـاد يـا غـوثا بـه
يـرجـى لأمـراض الـقـلـوب شفاؤهـا
كـم جـادت الـدنـيـا تـسـوق رياسة
يبغي لـديـك تـقـربـا أبـنـاؤهـا
فأبيت عنها معرضا مستحقرا
ولم يخـدعـنّـك جمالهـا وبهـاؤهـا
وجعلتها نحو الجنـان مطيّة[2]
وسـؤل تـوصـال وذاك جـزاؤهـا
مـن للتأليف الـتـي ألّفتها
بيد بها ما استشكلت قُرّاؤهـا
مـن لـلـعـلـوم عـلى اخـتـلاف فنونها
بيـد لهـا نكتـا يـروق سـنـاؤهـا

---

1. انقشع وزال.
2. أي وسيلة.

مـن للقلوب إذا صـدّت وإذا قست
تأتـي مواعظه فيذهـب دواؤهـا
مـا ذاك إلا مـن خصائصك التي
أعـطـى كـهـارب لـه إعـطـاؤهـا
مـا شئت مـن ورع ومـن تقوى ومن
شـيـم نـأى إحـصـاؤهـا
وآسـيـت أهـل العلم حتى أصبحوا
وعـلـيـك مـن نـفـقـاتهـم إجـراؤهـا
تعطي وتـوثـر مـن تـرى ذا حاجة
فـاعـتـاد رفـدك دائـمـا فُـقـراؤهـا
تـلـقـاهـم متـهـلـلا مبتسما
فـوجـوهـهـم بـاق عـلـيـك مـاؤهـا
ويـنـال كـل الـنـاس مـنـك نصيبه
حـتـى لـقـد بـلـغ المـراد إمـاؤهـا
أخـلاقـك التسليم يصحبه الـرضـا
بـالله مـنـشـور عـلـيـك لـواؤهـا
خُـلُـقٌ كـريـم لم يـنـل بعطية
إلا مـن المـولى يـنـال عـطـاؤهـا
شهد الأعـادي كالصديق فأنشدوا
ومـلـيـحـة شـهـدتهـا أعـداؤهـا

لـو كنت تـفـدي بالنفوس كرامـة
تـفـديـك أنفسنـا وقـــلّ فـداؤهـــا
لـكـن مـشـيـئـة ربّـنـا تجـري كمـا
سـبـق الـقـضـاء فـلا يـرد قضاؤهـا
لهـفـي ولهـفـــي دائـمـــا لـو أنهـا
تجـدني ومـا تغني وكـيـف غناؤهـا
إن تـبـكـه عـــيـنٌ فـمـــا أدّت لـه
حـقّـا ولـو مـزج الـدمـــوع مـاؤهـا
أو تـبـكـه أبـــدا تـلـمـســـان ومـــن
في حـوزهـــا ورجـالهـــا ونساؤهـا
لم يـــقـــدروا مـــقـــداره أنـــى لهـم
ولـقـد بكتـه أرضُـهـــا وسمـاؤئهـا
فلمثلها يبكي الـوجـود مصيبة
عظمت فأحزنـت الـورى غَماؤهـا
هـيـهـات لـلـدنـيـا تجـــود بمثلـه
مـن شأنهـا لـم يصف قـط أناؤهـا
وجـــب الـعـــزاء بـــه لـكـل مـوحِّـــد
ولبـلـدة فخـلاّه طـــاب ثنـاؤهـا
[58] ولأهـل مجلسه خصوصـا أنـه
شمس نـأت عنهم وغـاب ضياؤهـا

وشيوخنا العلماء نعزي أنها
جسد له أعضاؤهم رؤساؤها
ولأهله حق العزاء فبيوتهم
من بعده لا تنجلي ظلماؤها
لكن من الشمس المنيرة إن تغب
بدوا لدجى خلف وفيه سناؤها
يا قلبُ صبرا فالمصائب كلها
إن تلقها بالصبر خفّ بلاؤها
يا ربّ قدّس روحه وضريحه
ومن الجنان تحفّه نعماؤها
وعليه من رب الأنام تحيّة
موصولة لا تنقضي آناؤها

ورثاه السيد الفقيه الأجل الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي البركات بن أبي يحيى أبي البركات النالي الغماري[1]، فقال:

إليك فعزِّ القلب في كل ساعة
بموت إمام المسلمين كما قدرْ
إمام الهدى والدين ذاك محمد
سليل السّنوسي الإمام الذي شهدْ

1. كان فقيها محدثا درس المدونة بفاس من أحفظ أهل زمانه، قال التنبكتي: كان حياً ظنا في حدود سنة 720 هـ. أنظر: التنبكتي، «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» مج 2، ص 15 و«كفاية المحتاج بمن ليس في الديباج» مج 2، ص 15 - 16ز من تحقيق د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت 2004.

بيوسف سيف المشكلات وقائم
بعلم أصول الدين فهما كما أُثرْ
وما شئت من علم الكتاب والسنة
وغيرهما تلقاه منه كما ذكرْ

إلى أن قال:

فإنا إلى الله العظيم لوقعة
أصابت عماد الدين والتاج منكسرْ
تُرى هل له يوما من الدهر مصلح
وهل بعد ذاك الكسر يُزجي ويُنجبرْ
ويا معشر الإسلام هذا عزاؤكم
بهذا المصاب اليوم فالعقل يعتبرْ
وعن زهرة الدنيا وزخرف زهوها
يغضّ اللبيب الطرف منه ويزدجرْ
فما بعد هذا العالم الحسن الذي
قضى نحبه منا أمير بمؤتمرْ
وطوبى له ثم الهناء لأن غدا
رفيقا مع السادات في الخلد مستقرْ.

إلى آخرها.

خرجنا يوم جمعة مع هذا الناظم حفظه الله لزيارة قبر الشيخ رضي الله عنه، فتأمل روضته، فرآها تشرق بهجة وسرورا، وتبدي من محاسنه غبطة ونورا، فقال فيها:

هنيئـا مريئـا ذا المقيـل بروضـة
عليهـا مـن النـور البهـي ملابـسُ
ومـذ صرت فيهـا يـا ابـن يوسـف أشرقـت
بكـم وأضـاءت في الوجـود حنـادسُ[1]
[59] وفـاح عبيـر الطيبـات التـي بدت
لكـم خبايـا لسـرور تـؤانـسُ
لقـد كنـت مـن قبـل الممـات مؤيـدا
لأصـل عـماد الديـن أنـت تمـارسُ
أنـت منـك أبكـار حسـان تبرجـت
عـلى حسـنها للخاطبـين عرائـسُ
وكنـت عـلى ظهـر البسيطة خاطبـا
لهـن ذوي الأنفـاس كـي مـا تنافـسُ
فعـش هنيئـا ثـم مـت مكرمـا
هنيئـا لـك الخـيرات ثـم الفـرادسُ

وهو في غاية الحسن.

ورثاه بعض الفضلاء، فقال:

مـا للخواطـر لا تسـلو مـن كـدر[2]
والنـاس في غمـرات الحـزن والغِـيَرِ

---

1. جمع حندس وهو الليلة الشـديدة الظلام وحندس يعني شـديد السـواد أنظر ابن المنظور، «لسان العرب»،مج 2، ص 169.

2. أي همّ.

وحـلّ خطب عظيم بالعباد وقـد
بانـت رزيتهـم تربـو عـن الخبـرِ
والـضـوء يكشف عن مصباح مغربنا
والشـمس آفلـة والحـق في غمـرِ
والغافلـون بذكـر الله قـد جهـروا
لمـا تبـدّى خسـوف الشـمس والقمـرِ.

إلى أن قال:

وهـو السّـنـوسي شيخ الـوقـت عالمنا
المحسن المشفق الـرتّـال للسـورِ
وكـانـت بـه دعـوة التوحيد قائمـة
مناهجهـا واضـح للبـدو والحضـرِ
وكـان شـمـس تـلـمسـان تحـيـط بـه
فالـكل منـه اسـتمد النـور للبصـرِ

ثم قال:

حـيـاتـه الـزهـد والإخـلاص ملبسه
وقـوتـه الـذكـر في ورد وفي صـدرِ
كـأنـما رمـضـان كـل صـابـحـة
وليلـة القـدر صـارت حملـة السـهـرِ

الجود والبذل والإحسان شيمته
وكفه سائل كالواكف[1] المطرِ
يعطي الأرامل والأيتام ما سألوا
لو جاء بعضهم والكل في نفرِ
يلقاهم ضاحكا يبدي تبسمه
وليس يبدي إليهم نظرة الشزرِ
ما زال علامة الإسلام متصفا
بالخير حتى أتاه الحقّ للعمرِ
فصار في منزل العباد[2] مضجعه
وزاد فخرا بذاك المدفن العطرِ
وجاورت مضجع الأقطاب[3] جثته
وروحه في جنان الخلد في نظرِ
يا خير قبر وترب ضّم أعظُمه
وشيبة الطاهر المنشور في خفرِ
ثوى هنيا بأطباق التراب كما
شاء الإله بحلم الأمر والقدرِ
فلتبكه كل عين ولْتلِنْ كبد
له ولو أنها في قسوة الحجرِ

---

1. المطر المنهمر.
2. العبّاد، هي قرية صغيرة في أحواز تلمسان يوجد بها ضريح العلامة الصالح سيدي أبا مدين شعيب الغوث.
3. لعلّه يقصد أبا مدين شعيب الغوث.

وإن عدمت اصطباري يوم فرقته

وقد سقيت بكأس المر والصبرِ

[60] إن رمت صبرا فان الحال ينشدني

ما صَبر من صار عن عين إلى أثرِ

فقلت لمّا عراني الحزن مبتدرا

والدمع ما بين منظوم ومنتثِر:

يا أيها العالم المرفول في ورع

يا أيها الصالح المخصوص بالعبِر

من للمساجد يحييها ويعمُرها

بطاعة الله في الآصال والسحرِ

من للأرامل والأيتام يكفلهم

وأنت كنت كفيّا كل مفتقرِ

من للعلوم التي ألفتها حكما

وعُمت في بحرها غوصا على الدررِ

ثم قال:

تفديك أرواحنا يا ماجدا علما

لو كان يُرجى لك الإقبال من سفر

لكن حكم إله العرش ليس له

من دافع إنه التعظيم للآجر

يـا طالبـي العلـم هـذا بحـر موردكـم
أصابـه القحـطُ والأرواح فـي سُـعـر[1]
حـق الـعـزاء لـكـم يـا أهـل بلدتنا
فنحـن والله بعـد الشـيخ فـي غَـيَر[2]
يـا ربّ بلغه في الـفـردوس منزلة
شريـفـة بـرضـاء مـنـك منتشر
وأمـنـن بـتـوبـة مـن إنـشـاء قصيـدة
واجّـر عـبـيـدك عـبـد الله مـن سفـر
بـجـاه أفـضـل خـلـق الله كلهـم
مـن جـاء بـالـوحـي والآيـات والـنـذر
عـلـيـه أزكـى صـلاة كـل صابحة
مـا غـنّـت الـطـير بـالألحـان في الشجر

ورثاه بعض الأخيار فقال:

يا عين جودي بدمع منك منسجـم
لفقد شمس الهـدى والـعـالم والعلم
جـودي بغيـث دمـوع كالسـحاب إذا
مـا جـاء صيبهـا في السـهل والأكـم
ولا تمـلي بـكـل مـا حييت علـى
فقـد الإمـام الشريـف الطاهـر الشّـيم

1. في ألم شديد وهنا تشبيه الحال بمرض السعار.
2. أي في حال متغيرة يغلب عليها الحزن والألم.

سبط الرسول ونجل الهاشمي فكم

قد حاز فخرا بتقوى الله والحِكم

بحر جرى بعلوم الدين باطنه

فجوهر العلم فيه وافر القيم

قطب الزمان وحبرٌ لا نظير له

في عصرنا سما المقدار والهمم

هذا الورى للهدى في عصره ولقد

أزاح بالعلم عنا من الظلم

وهي طويلة جدا وقد رثي بمراث كثيرة غير هذه يطول تتبعها، ويؤدي إلى الملل تطلعها، وفيما ذُكر كفاية، والحمد لله رب العالمين [61].

يقول مختصره أحمد بن أحمد باب وفقه الله تعالى: هذا آخر ما قصدته، من اختصار ما أردته من تأليف سيدي الإمام العالم أبي عبد الله الملاّلي في ذكر مناقب القطب الولي سيدي محمد الشريف الحسني السّنوسي رحمة الله عليهما آمين.

اللهم إني أتوسل إليك بذاتك العليّة ثم بحرمة نبيك مولانا محمد أشرف البرية ﷺ وعلى آله صلاة لا تنقطع أبدا ثم بصالحي عبادك وبحرمة سيدي محمد السّنوسي أن تمنّ علي بتوبة نصوح توجب لي بها غفرانك وعفوك الدائم وتجعلها سببا للفوز بالجنة والنجاة من النار آمين، آمين وأن تغفر لوالدي وأشياخي وأسلافنا وإخواننا ومحبينا ومن سبقنا بالإيمان، ووافق الفراغ منه وقت الضحى يوم السبت سابع ربيع الثاني من عام أربعة وألف.

أرانا الله تعالى ختمه في عافية وطاعة، وذلك بمدينة مراكش، وأنا بها مع زمرة من قومنا مثقفون[1] بها عجل الله تعالى بالفرج آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

انتهت الكتابة بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل على يد العبد الضعيف المذنب الخاطئ الراجي من ربه مغفرة تحيط بالذنوب وتكشف الغطاء عن القلوب عبد العزيز بن الحسين الاسماعيلي[2] غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين بجاه سيد المرسلين عليه أزكى الصلاة والتسليم من العزيز الحكيم، وكان الفراغ منه عشية يوم الجمعة الرابع عشر من قعدة الحرام عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

1. أي مسجونون بها أو مقيمون تحت الأسر.
2. اسم ناسخ هذا الكتاب.

المصادر والمراجع

- ابـن تيمية، أبـو العباس أحمد عبـد الحليم الحراني، بيـان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة سنة النشر 1971 .

-ابن حجر العسـقلاني، شهاب الدين، أحمد بن علي بن محمد، الدرر الكامنة في أعيـان المائـة الثامنة، ذيل الدرر الكامنة، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت،

-ابن سـودة، عبد السلام بن عبد القادر المرّي، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الكتاب الدار البيضاء 1960 .

- ابـن الأثـير، عز الدين أبو الحسـن علي بـن محمد بن عبـد الكريم الجزري، أسـد الغابة بمعرفة الصحابة، تحقيق علي محمد وعادل عبد الموجود، دار الشعب القاهرة 1970 .

- ابن حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن، الجرح والتعديل، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت 2002 .

- ابـن عجيبـة، أحمد بن محمد الحسـني، إيقاظ الهمـم وشرح متن الحكم.دار المعرفة بيروت د-ت.

- ابـن عبد البرّ، أبو عمر يوسـف بـن عبد الله النمري القرطبـي، جامع بيان العلم، تحقيق أبو الأشبال الزهري، دار ابن حزم، القاهرة، 2006 .

- ابن عجيبة، أحمد بن محمد الحسـني، معراج التشـوف إلى حقائق التصوف، تقديم أحمد بن محمد بن عجيبة، تطوان 1982 نشره المؤلف.

- ابـن فرحـون عـلي، الديباج المذهـب بمعرفة أعيـان المذهـب، دار الكتب العلمية، بيروت د-ت.

- ابن فرحون في الديباج المذهب بمعرفة أعيان المذهب،من تحقيق مأمون بن محي الدين أكنان، دار الكتب العالمية بيروت1996 .

- ابـن القـاضي، أحمد بن محمد بـن أبي العافية المكناسي، جـذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور الرباط، 1973 .

- ابن مخلوف، محمد بن محمد بن عمر قاسـم، شـجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية بيروت، 2003،

- ابن مريم، محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986 .

- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر بيروت، 1977 .

أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله الجويني، الإرشاد في قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد.د.ت.

- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة. كلية الدعوة الإسلامية طرابلس 1989 .

- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحيقي د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية بيروت 2004 .

- بروكلمان كارل تاريـخ الأدب العربي، تعريب د. عبـد الحليم النجار. دار المعارف القاهرة 1975 .

- البغـدادي، الباباني، إسـماعيل باشـا بن محمـد أمين، هدية العارفين أسـماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الكتب العلمية، بيروت 1992 .

- البغدادي، الباباني، إسـماعيل باشا بن محمد أمين، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، دار الكتب العلمية بيروت 1992 .

- الحبيشي محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن عبد الله، نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف، دار المنهاج جدّة 1997.

- الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، بيار فونتانا الجزائر 1903.

- حجي خليفة مصطفى بن عبد الله أو كاتب جلبي، «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» منشورات مكتبة المثنى بغداد. د.ت.

حشلاف، عبد الله بن محمد بن الشارف بن علي، كتاب سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، 1929.

- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، المعين في طبقات المحدثين دار الفرقان عمان 1980.

- الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين بيروت، 1990.

- السفاريني، محمد بن أحمد الأثري الحنبلي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين - دمشق، 1982.

- السّنوسي محمد بن علي كتاب المسلسلات العشر في الأحاديث النبوية وزارة الإعلام والثقافة طرابلس ليبيا 1968.

الشعراني، عبد الوهاب، الطبقان الكبرى، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة د-ت.

- السيد محمد بن علوي المالكي الحسني. مفاهيم يجب أن تصحح. المكتبة العصرية. بيروت 2005.

- السملالي عباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حلّ بمراكش من الأعلام، تحقيق عبد الوهاب منصور المطبعة الملكية الرباط، 1974.

- ابـن خلـكان، شـمس الدين أحمد بـن محمد، وفيـات الأعيان وأنبـاء أبناء الزمان، تحقيق محمد محي الدين - القاهرة - مطبعة النهضة المصرية 1949.

- السـلاوي الناصري أحمد بن خالد، الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى، دار الكتاب الدار البيضاء المغرب 1956.

- الشوكاني محمد بن علي، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين. دار الفكر بيروت 1988.

- عبـاس المراكـشي، الإعـلام بمن حـلّ بمراكش مـن الأعـلام، تحقيق عبد الوهاب منصور المطبعة الملكية الرباط 1977.

- الغزالي، أبو حامد. إحياء علوم الدين. دار الكتب العربية. القاهرة. د ت.

- القـادري، محمد بن الطيب، نشر المثاني لأهـل القرن الحادي العشر والثاني تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، مطبعة النجاح الدار البيضاء 1977.

- القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب 1983.

- القـادري محمد بن الطيـب في «التقاط الدرر ومستعاد المواعظ والعبر من أخبـار وأعيـان المائـة الحادية والثانية عشر» تحقيق هاشـم العلوي القاسـمي دار الأفاق الجديدة بيروت 1983.

- الكتـاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، «سـلوة الأنفاس ومحادثة الأكيـاس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمـزة بن محمـد الطيب الكتـاني ومحمد حمزة بن عـي الكتـاني، دار الثقافة الدار البيضاء، 2004

- الكتـاني، عبـد الحي بن عبـد الكبير التلمسـاني، فهرس الفهـارس، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982.

- كحالة عمر رضا «معجم المؤلفين» دار إحياء التراث العربي بيروت د- ت.

- المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر بيروت طبعة قديمة.

- المقّري، أبو العباس أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968.

- المقّري أبو العباس أحمد، روض الآس العاطرة الأنفاس فيمن لقيته من الحضرتين من أعلام مراكش وفاس، المطبعة الملكية 1964.

- الملاّلي، المواهب القدوسية في المناقب السّنوسية مخطوط بالخزانة العامة بالرباط.

- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، جامع كرامات الأولياء، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار الفكر بيروت 1993.

- نويهض عادل، موسوعة أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت 1983.

كشّاف عام

فهرس الأعلام

-أ-

الإلبيري، محمد بن خلف: 11، 113.

الإيجي، عبد الرحمن بن احمد: 12، 117.

أبا السادات، يحي بن محمد: 9.

أبا مدين، شعيب: 55، 66.

أبركان، أو الحسن: 9، 32، 44، 46، 48، 49، 110.

ابن الأثير، علي بن محمد : 30.

ابن تومرت، محمد بن قاسم: 8.

ابن الحاجب، عمر بن عثمان: 21، 32، 44، 52، 73، 74.

ابن جيده، أحمد بن أحمد الوهراني: 9.

ابن خلدون، عبد الرحمن: 30.

ابن زاغو، احمد بن عبد الرحمن: 41.

ابن سعد، صاحب «الطبقات» : 30.

ابن سينا : 12، 115.

ابن صعد التلمساني : 65.

ابن عجيبة، احمد بن محمد الحسني: 54، 84، 113.

ابن عرفة: 4، 12، 75، 115.

ابن عقدة، موسى : 3.

ابن فرحون، برهان الدين بن إبراهيم: 20، 35، 123.

ابن مخلوف، محمد بن محمد: 20، 41، 46.

ابن مريم، محمد بن محمد: 7، 37، 38، 39، 42، 43، 48، 65، 109، 111، 138.

أبو الفدا: 30.

إيساغوجي : 12، 29.

- ب -

الباغوزاوي، أو الحسن: 55.

الباهري، عبي بن محمد: 55.

البخاري: 51، 65، 68، 96، 114.
البرزالي: 115.
بغبع: محمد بن محمود الونكري: 16، 17، 27، 107.
البقاعي، إبراهيم بن الحسن: 113.
البُلاّلي، محمد: 41.
البنّاء، محمد الأزدي: 41، 109.
البيضاوي: 116.
البيهقي: 102.

- ت -

التادلي، يوسف بن يحي: 35، 66.
التازي، سيدي إبراهيم: 48، 49، 55، 56، 58، 60، 111.
التالوتي، علي بن محمد: 8، 32، 43، 51، 63، 87، 126.
التلمساني:
أبي يحي الشريف: 41.
محمد بن العباس: 9، 43.
محمد بن عمر (الملاّلي): 10، 23.
محمد بن محمد، 9.
التنبكتي، أحمد باب: 5، 6، 7، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 23، 25، 26، 27، 28، 30، 40، 43، 46، 55، 100، 111، 142، 152.
التنوخي، المسمى سحنون: 42، 46، 92، 128.

- ث -

الثالوثي، أي التالوتي شقيق السنوسي: 43، 64.
الثعالبي، عبد الرحمن: 9، 51، 52، 53، 105، 115.
عيسى: 55.

- ج -

الجزائري، العلامة أحمد بن عبد الله: 3، 105، 112.
الجلاّب، محمد بن احمد بن عيسى: 42.
جياكوبيتي، الأب: 3.

- ح -

الحبّاك، محمد بن أحمد: 113.
الحسن البصري: 56، 56.
حشلاف، عبد الله بن محمد: 37.
الحطاب، يحي بن محمد: 16.
الحفناوي، محمد بن أبي القاسم: 7، 32، 37، 48، 49، 105، 153.

الحفيد، ابن مرزوق : ص37.
حنش، الصنعاني : 129
الحوثي، إبراهيم بن عبد الله : 53.
الحوضي، محمد بن عبد الرحمن : 3، 84، 112، 138.
الحوفي، علي بن إبراهيم : 13، 41.

- خ -

خليل، ابن إسحاق الشيخ الملكي: 17، 20، 21، 46، 54، 112.
الخونجي، محمد بن ناماور: 9، 43، 113.

- د -

الداودي، أحمد بن نصر الأسدي التلمساني: 65، 66.

- ز -

الزبيدي، الهاشمي الجبروتي : 55.
زرّوق، احمد بن احمد: 9.
الزرويلي، علي بن محمد:11.
الزواوي: أحمد بن عبد الله: 112.
أبو القاسم: 9، 69، 103.
صالح بن محمد بن موسى 55.
نصر، 8، 38، 39، 49.

- س -

السلاوي، احمد بن خالد : 19.
السنوسي : 3، 5، 6، 7، 9، 14، 23، 27، 29، 31، 32، 35، 37، 44، 48، 49، 56، 58، 61، 69، 79، 110، 111، 114، 119، 149.
السمهودي، علي بن عبد الله :100.
السيوطي، الجلال : 21، 100، 128.

- ش -

الشفشاوني، محمد بن عسكر الحسني : 3.
الشوكاني، محمد بن علي : 36، 53.

- ص -

الصنعاني، روح بن حنش : 129.
الصغير، محمد بن عباس : 9.

- ط -

طمّار، محمد بن عمرو : 50.

- ع -

العبّادي، محمد بن عيسى : 9، 43.
عثمان بن سليمان: 53.

العراقي، ولدي الدين أحمد بن عبد الرحيم: 48، 57، 100.
العصنوني: عبد الرحمن بن عيسى المغيلي: 49.
العشماوي، أحمد بن محمد النسابة: 3.
العقباني، سعيد بن محمد: 109.
علي بن أبي طالب، الإمام: 3.
عمر، بن الخطاب: 90.
عياض، القاضي: 16، 54، 65، 73، 74، 117، 130.
عيسى بن مسكين: 123، 124.

- غ -

الغزالي، أبا حامد: 35، 36، 97، 113، 125.
الغماري، أو البركات: 142.

- ف -

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: 30.

- ق -

القلصادي، علي بن محمد: 9، 40، 41.
القلعي، محمد: 9.
القلقشندي، أحمد بن علي: 30.

- ك -

الكتاني، محمد بن جعفر: 4، 7، 37، 40.
الكنابشي، أبا القاسم: 9، 51.

- م -

المحبي، محمد بن فضل الله: 20.
محمد بن مالك العلوي: 36.
محمد بن أبي مدين التلمساني: 9.
محمد بن بجبّش: 112.
محمود بن زرقون: 100.
المراغي، زين الدين: 54، 56.
المرسي، أبو العباس: 84.
المصمودي، الشيخ إبراهيم: 65.
المقري، أحمد بن محمد: 16، 25.
الملالي، محمد بن إبراهيم: 10، 22، 23، 27، 29، 31، 77، 113، 114، 119، 123، 149.
المنالي، عبد المجيد بن علي: 25.
المناوي، إبراهيم بن إسحاق: 100.
الميدومي، محمد بن إبراهيم: 57.

- و -
الوجديجي، إبراهيم : 9.
الورنيدي، أحمد بن محمد : 9.
الوغليسي، عبد الرحمن بن احمد : 13، 115.
الوانشريسي، أبا العباس: 49 ، 50.

- ي -
اليبدري، أحمد بن محمد : 9.
يجبُّش، محمد بن عبد الرحيم : 111.
يوسف بن يعقوب المريني : 102.
يونس بن محمد: 35.

فهرس الأماكن

- أ -
إلفيرا: 113.
الأندلس: 41، 66، 67، 106، 111، 113، 129.

- ب -
باجة: 42.

- ت -
تبسة: 159.
تنبكتو أو تنبكت: 15، 18، 19، 53، 100.
تونس: 42.
تلمسان: 3، 23، 37، 50، 65، 102، 135.

- ج -
الجزائر: 7، 28، 32، 49، 50، 52، 53، 54، 55، 135.

- س -
سمهود: 100.

- ع -
العبّاد: 37.

- غ -
غرناطة: 16، 111.

- ف -
فاس : 4، 18، 142.

- ل -
ليبيا : 9.

- م -
مالقة: 111.
مالي : 15.
المدينة (المنورة) : 134.
مراكش : 18، 19، 26، 31، 100، 150.

مسراتة: 9.
مكة: 61.
المنصورة: 102.

- ي -
اليمن: 30.

فهرس الجماعات و الطوائف

- س -
السنة: 92.
- ص -
الصوفية: 31، 56، 90، 101.

- ع -
المعتزلة: 92.
- ق -
القدرية: 92، 128.

الفهرس

مقدمة المحقق 3

الفصل الأول: التعريف بالعلامة محمد بن يوسف السّنوسي موضوع مخطوط «الناقب» السندسية في الفضائل السّنوسية» 7

- نسبه 7
- شيوخه 8
- تلاميذه 9
- مؤلفاته 10
- وفاته 14

الفصل الثاني : التعريف بالمؤلف 15

- نسبه 15
- مولده 15
- تعليمه 16
- إبتلاؤه 17
- وفاته 19
- مؤلفاته 20

الفصل الثالث: تحقيق مخطوط 23
- التعريف بالمخطوط 23
- التعريف بالمخطوط المختصر 29
- تحقيق مخطوط : «اللآلي السندسية في المناقب السّنوسية» 29
- المقدمة 35
- **الباب الأول**: في ذكر شيوخه 37
- **الباب الثاني**: في كراماته ومكاشفاته 61
- **الباب الثالث**: في علمه وزهده وعظه ورعه ورفع همّته وحلمه وصبره وسداد طريقته وشمائله 71
- **الباب الرابع**: في عدد مصنفاته 109
- **الباب الخامس**: في ذكر أوراد حضّ عليها وأدعية حسنة كتبها بخطّه 121
- **الباب السادس**: في وفاته وما اتفق في مرضه 131
- **الباب السابع**: في شعره وفيما مُدح به رحمه الله 133
- المصادر والمراجع 151
- كشاف عام 157
- أسماء الأعلام 161
- أسماء الأماكن 162
- الفهرس 163

المحقق في سطور

- الأستاذ محمود براهم، مستشار دبلوماسي وأستاذ مشارك سابق بجامعة الجزائر، من مواليد الفاتح من جويلية 1962 بتبسة؛
- حائز على الماستر حقوق فرع البحوث في الأمن الدولي والدفاع من جامعة غرينوبل بفرنسا سنة 2007؛
- نال شهادة التخصص في التسيير الدولي للأزمات من المدرسة العليا للإدارة بباريس سنة 2004؛
- ناقش رسالة الماجستير في الترجمة من جامعة الجزائر سنة 1998 ونالها بدرجة مشرف جدا؛
- تحصل على الليسانس في الترجمة من جامعة الجزائر سنة 1992 بدرجة الأول في دفعته؛
- تحصل على دبلوم أستاذ لغة فرنسية من المعهد التكنولوجي للتربية بتبسة سنة 1985.
- ترجم إلى العربية «اللغة والنمو العقلي» لبيار أوليرون الذي صدر سنة 2005 عن ديوان المطبوعات الجامعية ؛
- كما ترجم أيضا «العولمة الاقتصادية والأمن الدولي، مدخل إلى الجيواقتصاد» لصاحبه الأستاذ جاك فونتانال وصدر سنة 2007 عن ديوان المطبوعات الجامعية ؛
- ألف السيد براهم « سيرة الشيخ سيدي عبيد الشريف والتأثير الديني والجهادي لزاويته»، صدر سنة 2005 عن نفقته الخاصة كما سبق أن نشر العديد من المقالات العلمية.

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية — الجزائر
2011
Achevé d'imprimer sur les presses
ENAG, Réghaïa
-Algérie-
Bp 75 Z.I. Réghaïa Tél : (021) 84 85 98 / 84 86 11

ISBN 978-9961-62-946-8